وَعْــدُ الآخِــرَة

زَوَالٌ لا إِبَــــادَة

تأمُّــلاتٌ في ســُورَةِ الإسْــرَاء

الدكتور/ نصــر فحجــان

عميد كلية دار الدعوة والعلوم الإنسانية بغزة سابقًا

الطبعة السادسة

طبعة مُعدّلة ومَزِيدَة

سبتمبر ٢٠٢٥م

غزة – فلسطين

البرنامج الوطني لدار الكتب الفلسطينية

بطاقة فهرسة أثناء النشر

وزارة الثقافة – الإدارة العامة للمكتبات والمخطوطات

فحجان، نصر خليل إبراهيم

وعد الآخرة زوالٌ لا إبادة (تأمّلات في سورة الإسراء) / نصر خليل إبراهيم فحجان –

غزة: مكتبة دار الأرقم، ٢٠١٨.

(٢٠٢) ص، **B5** سم

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٦٨٥

ملاحظة: يُسمَح للجميع بطباعة ونشر هذا الكتاب، ولا يلزم الحصول على موافقة مسبقة من المؤلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

{الإسراء: ٧}

الإهـــــــــــــــداء

إلى أرواح الشهداء الطاهرة، التي سَبَقَتْ إلى الجنَّة، فكانت مشاعلَ تنير الطريق لمَن بعدهم من المجاهدين والأحرار.

إلى أَسْرَى فلسطين والعرب في سجون الاحتلال الصهيوني، الذين يرقُبُون الفجر دوماً، وترنو أعينُهم نحو الشمس، أملًا في الحرية.

إلى اللاجئين المشردين الذين يشتهون أن تخطو أقدامهم على ثرى فلسطين، ويتنسموا هواءها الطاهر.

إلى هؤلاء الأبطال الذين يُرابطون ليلَ نهارَ على أرض فلسطين، يُعِدُّون ما استطاعوا من قوةٍ ليوم التحرير القريب بإذن الله تعالى.

إلى القدس التي تنتظر فرسانها.

إلى الأقصى الذي يشتاق إلينا.

إلى فلسطين المباركة، أهدي هذه التأمُّلات.

دكتور: نصر فحجان – غزة

مقدمة فضيلة الدكتور/ يونس الأسطل

بعنوان: المُقدمة المَاخرة للوقفات الفاخرة

في زوال الاحتلال بوعد الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب؛ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، وجعله نوراً لنا نمشي به في الناس، حتى نكون على نورٍ من ربِّنا، فهو نورٌ على نورٍ، يهدي الله لنوره من يشاء، ومن لم يجعلِ الله له نوراً فما له من نور.

وبعـــــــــــد:

فقد آثرني سعادة **الأخ الدكتور/ نصر فحجان** ببحثٍ له حول وعد الآخرة المتعلق بزوال الاحتلال، والتتبير للعلوِّ الكبير لفساد بني إسرائيل؛ ليكون لوناً من البُشرى في الحياة الدنيا للمؤمنين، ونوعاً من البركات التي جعلها الله تعالى للعالمين في أرض فلسطين.

وتؤوب أهميّة هذا الموضوع إلى أنَّ بني إسرائيل قد توعَّدهم ربُّهم بالغضب والذلّة في الحياة الدنيا حين اتَّخذوا العجل إلهاً، ثم تأذَّن ليبعثنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب بعد أن اعتدَوا في السَّبت، فقال لهم: كونوا قردة خاسئين، حتى إذا كفروا

بآيات الله، وقتلوا النبيين بغير حقٍّ؛ ضرب عليهم الذلّة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله، غير أنَّه قد استثنى الذلّة وحدَها دون المسكنة، فرفعها عنهم مؤقتاً حين يمتدُّ إليهم حبل من الله، وحبل من الناس؛ بأنْ يُعْطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فيسيروا في دار الإسلام لياليَ وأيامًا آمنين، أو أنْ يظفروا بدعمٍ من أوليائهم النصارى، والمنافقين، وعموم المشركين، فأنت ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا، ويقولون للمشركين: إنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

وفي تلك الفترات الاستثنائية من تاريخ شَرِّ البرية؛ بل شَرِّ الدواب عند الله؛ قضى الله عز وجل أن يأخذهم بسنته في المفسدين؛ بأنْ يتمكنوا من الإفساد في فلسطين، وأنْ يعْلُوا فيها عُلُواً كبيراً؛ لِيُريَ العالمين بركة فلسطين؛ إذْ يستطيع عبادٌ لله أولو بأس شديد وهم أذلة أقلة إساءة وجوه بني إسرائيل أولاً، وفتح بيت المقدس، ودخول المسجد الأقصى ثانيًا، وتتبير ما علاه بنو إسرائيل تتبيرًا تامًا ثالثًا؛ ويريد الله بذلك أنْ يُحِقَّ الحقَّ بكلماته، ويقطع دابر الكافرين، فَيَهْلَكَ من هلك عن بينة؛ ببقائهم في طغيانهم يعمهون، ويحيى من حَيَّ عن

بيِّنة، ويجعلهم أئمة يهدون بالحق، وبه يعدلون، لمَّا صبروا، وكانوا بآياته يوقنون.

وقد تكفّل مولانا جلَّ جلاله أن يهزم اليهود بالرعب، حتى لو ظنوا أنهم مَانِعَتُهم حصونهم من الله، فلأنتم أشدٌّ رهبةً في صدورهم من الله، وربما لم يكونوا يوماً في رعبٍ شديدٍ كما هو اليوم؛ فقد عجزوا عن تركيع غزة ثلاث مرات في أقلَّ من ست سنين رغم حصارها من الاحتلال، ومن أصحاب الحبال الممتدة إليه من منافقي قومنا، ومشركي أمتنا، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم.

هذا وقد وجدت هذا البحث جيِّداً في مجمله، وجديداً في بعض جوانبه، ويمكن أنْ أرصد طائفةً من مناقبه في البنود الستة التالية:

١. بعد التأكيد على جملة من فضائل المسجد الأقصى توسَّع في مفهوم الأقصى، حتى كان أقصى للعباد، سواءً العاكف فيه والباد، حتى إنَّه ليتفوق في بعض الأعوام من حيثُ الثواب عن المسجد الحرام، لا سيَّما حين تكون فيه الطائفة المنصورة في مجابهة مع العلو الكبير لبني إسرائيل.

٢. التوسع في مدلول ما حول المسجد الأقصى من البركة؛ لتشمل المنطقة الكبرى للشام، وطرفاً من مصر والعراق؛ أيْ من الفرات

إلى النيل، وقد تجلَّت في قيام المجاهدين والفاتحين بالزحف على الغزاة المحتلين، والجبابرة المفسدين، من زمن سيدنا موسى، ثم تلميذه يوشع بن نون، إلى القائد طالوت الذي أُوتي بسطةً في العلم والجسم، ثم الفتح الإسلامي في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانطلاق صلاح الدين الكردي من مصر، حتى وحَّد الأمة، ثم انتصر في معركة حطين، وكذلك الأتراك المماليك الذين زحفوا من مصر إلى عين جالوت بفلسطين، فقضوا على المغول والتتر الذين قرَّروا أنْ يدمِّروا حضارة البشر، وقد جاء الدور على بني صهيون، ومن معهم من المنافقين والمشركين.

٣. إثراء قبضة من المعاني، بما يصعب تصورها بالتدبر الظاهري لبعض المفردات القرآنية في سورة الإسراء، ومن ذلك النقاط الأربعة التالية:

(أ) بلغت وجوه العلوّ الكبير لبني إسرائيل ثمانية، ولا يخلو هذا البحث من الإشارة إلى المزيد منها، كما في الوقفة الخامسة وغيرِها من مجموع الوقفات الاثنتين والعشرين التي قام عليها البحث، بالإضافة إلى فروع أخرى برزت بتراجمَ خاصةٍ في ثنايا بعض الوقفات؛ كَنُعُوتِ جند التحرير في الوقفةِ السابعةَ عشرةَ، أو عودة

اليهود مع الدجَّال في الوقفةِ التاسعةَ عشرةَ، ولو أفردها بعناوينَ خاصةٍ لناهزت وقفاته الثلاثين.

(ب) بلغت تأويلات النفير في قوله تعالى: "وجعلناكم أكثر نفيراً" ستة؛ لتشمل إعلان الحرب؛ بدليل عدد الحروب التي خاضوها من عام ١٩٤٨م إلى يومنا هذا، وقد أتمت عشرًا، كما يكونون أكثر نفيراً من خصومهم الذين جاسوا خلال ديارهم في التسليط الأول، أو أنَّهم أكثر نفيرًا من العرب، أو أكثر استنفارًا للدول الكبرى، وهكذا كما هو معروض في الوقفةِ الحاديةَ عشرةَ.

(ج) وجوه إساءة بني إسرائيل في وعد الآخرة، وقد بلغت عشرةً أيضًا، من الاضطرار إلى الانسحاب من غزة، إلى خطف الجنود من دباباتهم المتينة، ومواقعهم الحصينة، إلى نجاح عشرات العمليات الاستشهادية من الوصول إلى العمق الصهيوني، إلى انكشاف ضعف العقيدة القتالية عند الجنود، وسقوط أسطورة الجيش الذي لا يُقهر، وغير ذلك، كما في الوقفة الخامسةَ عشرةَ.

(د) وقد وصلتْ معاني المجيء بهم لفيفاً إلى أربعة، وكذا معاني التتبير في الوقفتين الرابعةَ عشرةَ، والسابعةَ عشرةَ، وفي هذه الأخيرة أوْصَلَ عدد المواقع والمؤسسات التي يطالها التتبير إلى اثنتي عشرة،

بما فيها مقرّ الكنيست (البرلمان)، والوزارات، والمواقع العسكرية، والجدار الفاصل الذي يطوق المدن الفلسطينية، وغيرها.

٤. يتمتع الأخ الباحث بسعة الخيال التحليلي، فقد ذكر ستة أمورٍ تحدث بعد التتبير، منها هروب اليهود من فلسطين، وتخلّي الغرب عنهم، وسقوط الأنظمةِ العربيةِ المرتهنِ وجودهُا بهم، والإعلان عن قيام الدولة الإسلامية، وغيرُ ذلك، كما نجده بعد الوقفةِ السابعةَ عشرةَ، ومن الخيال الطيب ستة وجوهٍ أخرى من النتائج المترتبة على عودة سبعين ألفًا من اليهود مع المسيح الدَّجّال؛ لتكون فلسطين مرةً أخرى حاضنةً للقضاء على الفساد اليهودي الداعم للدجال الكبير، فما أنْ يقتله المسيح بن مريم عليه السلام حتى يتفرق اليهود خلف الشجر والحجر، فيُنادَى على المسلمين عباد الله؛ ليجيئوا لقتل أولئك اليهود المفسدين، ويمكنك مطالعتها بعد الوقفةِ التاسعةَ عشرةَ.

٥. الاعتماد على الكثير من المصنفات والأبحاث، والاستئناس في الترجيح برأي طائفة من العلماء والدعاة المعاصرين؛ من أمثال الشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ سعيد حوَّى، والدكتور أحمد نوفل، والأستاذ بسّام جرّار، والعبد الفقير القائم بتسطير هذا التقرير، كما تراه في الوقفةِ الثالثةَ عشرةَ.

٦. ولا بُدَّ من الإقرار بصعوبة الحسم في الخلاف بين العلماء والمفسرين قديماً وحديثًا في تحديد المرة الأُولى للإفساد والعلو الكبير، وأنَّ وعد الآخرة لا يخلو من عِراكٍ علميٍّ أيضًا، وقد بذل الباحث جهده في الترجيح مشكوراً ومأجوراً، وقد لا أشايعه بالضرورة في بعض ما ذهب إليه، وهو قليل.

وهناك بعض الاجتهادات عنده هي محلُّ نقاشٍ؛ من مِثْل تفسير الشجرة الملعونة في القرآن ببني إسرائيل، وكَوْن سيدنا إدريس هو إلياسَ عليه السلام نفسَه، وأن العباد المسلطين على بني إسرائيل من العرب قطعاً، وليس شرطًا أنْ يكونوا مسلمين، مع أنَّه قد ورد في ثنايا البحث ما يُحتمل معه أنْ يكونوا مسلمين، كما في آخر التعقيب على الوقفة السادسةَ عشرةَ، وفي الإشارة الرابعة المتعلقة بتأويل قوله تعالى: "فجاسوا خلال الديار".

ومع أنَّه ليس من الضروري أنْ أشايعه في هذا التقريظ في كلِّ ما ذهب إليه شبراً بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، غير أنَّ المجتهد مأجورٌ أصاب أو أخطأ، ما دام لمْ يدِّخر جهدًا في التأهُّلِ له من ناحيةٍ، وفي البحث والمطالعة من ناحيةٍ أخرى.

وفي الختام؛ فإنِّني أشكر لأخي الباحث ثقته في شخصي لأخُطَّ هذه الافتتاحية، وأرجو له التوفيق والقبول، وأتعشَّم أنْ يتواصل جهده مع الأبحاث القرآنية، لا سيَّما ما اشتدَّت إليه حاجتُنا على طريق عودتنا لبيت المقدس، والأرض المباركة للعالمين، وكذلك لعودتنا سيرتَنا الأولى خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للناس، ورحمةً للعالمين، مهرًا لعودتنا إلى جنَّةٍ عرضها السموات والأرض أعدَّت للمتقين.

وصلَّى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

خان يونس في يوم الاثنين المبارك

٨/ رجب/ ١٤٣٩هـ

الموافق ٢٦/ آذار/ ٢٠١٨م

بقلم د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين

وعضو البرلمان الفلسطيني

مُقدِّمَة

الحمد لله الذي أمر نبيَّه بتبشير المؤمنين بقرب النصر والتمكين، فقال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ {الصف: ١٣}، وأصلِّي وأسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه الكرام، الذي بشَّر أهلَ الشام بمعيِّة الله تعالى، فعن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وأهله). [١]

أما بعد:

فهذه تأمُّلات في سورة الإسراء، حاولتُ من خلالها الوقوف على بعض المعاني والإشارات القرآنية، مستهديًا بالله أولاً، ثمَّ بمدلول الكلمة القرآنية في لغة العرب في وقت نزول القرآن الكريم، مستصحبًا الأحاديث الثابتة عن النبي (ﷺ)، ومستأنسًا بأقوال العلماء في العصور المختلفة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، (٥٨/٢٢) (١٣٧) وفي مسند الشاميين (٣٣٨٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/٧٨) وقال:" صحيح"، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٠٢):" رواته ثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٢):" رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٤٠٧٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٠٩٠).

وقد سعيت في هذه التأمّلات إلى استعراض بعض أقوال المفسرين الكرام فيما يتعلق بالإفسادة الآخرة لبني إسرائيل، ومناقشة هذه الأقوال بما تهيَّأ لي من الأــدلّة النقلية والعقلية، سائلاً الله تعالى أنْ يلهمني الصواب ويهديني إلى الحق.

وقد جاءت هذه التأمُّلات على شكل وقفاتٍ عند آياتٍ أو مقاطعَ أو كلماتٍ من سورة الإسراء، فكانت كلُّ وقفة منها موضوعاً يرتبط بما قبله وبما بعده، وحرصتُ فيها على عدم السّرد أو الحشو المُمِلِّ، ما يسهِّل على القارئ مطالعتها والاستفادة منها، عسى أنْ تكون رسائلَ لكل الأمة في كل مكان، تبعث الأمل بقرب النصر، وتتشعَّل شموعاً تنير الدروب للمجاهدين والمرابطين والمُهجَّرين بأنَّ الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين إلى زوالٍ قريب، وأنَّ فلسطين ستعود إلى أهلها بإذن الله تعالى، وهذا ليس رجْماً بالغيب، ولا تكهُّناً من عند نفسي، بل هو من وحي القرآن الكريم، فقد نزَّل الله تعالى الكتاب على نبيّه صلَّى الله عليه وسلَّم تِبياناً لكلّ شيء، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ {النحل:٨٩}، لنستلهم منه في حياتنا ومستقبلنا ما ينفعنا، ونستبشر به في محنتنا ما يدفعنا للصمود والجهاد، حتى تضع الحرب أوزارها، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد تشرّفْتُ بعرض هذه التأمُّلات على الأخ الحبيب فضيلة الدكتور/ يونس الأسطل صاحب الباع الطويلة في التفسير وعلوم القرآن، وقد أكرمني بكتابة مقدِّمةٍ لهذه التأمُّلات، فلَهُ منِّي الدعوات الواصبات على ما أسداه من أطايبِ النُّصح، وجميل الإفادات.

إنَّ هذه بعضُ تأمُّلاتٍ وتدبُّراتٍ في آيات الله تعالى، وكلامه الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، عملاً بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ {سورة ص: ٢٩}، فإنْ أصبْتُ فمِن الله وحده، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي والشيطان، والله هو الوليُّ وهو الهادي إلى سواء السبيل.

دكتور/ نصر خليل فحجان – غزة

أستاذ الدَّراسات الإسلاميَّة والقرآن الكريم في كليَّة فلسطين للتَّمريض بغزة

أستاذ التفسير في كلية الدعوة الإسلامية بغزة

عميد كليَّة دار الدَّعوة والعلوم الإنسانيَّة بغزة سابقًا

عضو رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين

الوقفةُ الأُولَى

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ {الإسراء: ١}.

إنَّ الذي يشُدُّ الانتباه في هذه الآية الكريمة هو ارتباط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ارتباطًا عضوياً لا انفكاك له، وهو ارتباط يشير إلى بداية الانطلاق نحو الغاية، فالمسجد الحرام في الآية هو المُنطلق، والمسجد الأقصى هو الغاية.

وكما أنَّ المسجد الحرام سُمِّي مسجداً منذ البداية، فإنّ المسجد الأقصى سُمِّي مسجداً منذ البداية، فالبداية سجود وخضوع لله تعالى، والغاية الأقصى سجود وخضوع لله تعالى.

جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: " قلت يا رسول الله، أيّ مسجد وضع في الأرض أوَّل أيْ للصلاة فيه؟ قال: المسجد الحرام، فقلت: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما أدركتَ الصلاة فصلِّ، والأرض لك مسجد". [١]

---

[١] صحيح البخاري ٣٣٦٦

فهو مسجدٌ يمتدّ إلى عهد آدم عليه السلام، وإنّ أكثر ما يثير الاهتمام ويدعو إلى التأمّل هو اسم المسجد **(الأقصى)**!

- لماذا سمَّاه الله تعالى **(المسجد الأقصى)**؟

لا يشك أحدٌ في أنَّ المسجد الأقصى هو الأبعد والأقصى جغرافيًّا عن مكة من المسجد النبوي، وهو من المساجد الثلاثة التي تُشَدّ الرحالُ إليها، وإنّ من أقرب وأصحّ التفسيرات لتسمية المسجد الأقصى بهذا الاسم هو أنه الأقصى والأبعد جغرافيًا عن المسجد الحرام بمكة، ولكننا في هذا المقال أردنا أنْ نتدبر كلمة: (ٱلۡأَقۡصَا) ونستنبط منها بعض المدلولات والمعاني والأبعاد التي يمكن أنْ تُضاف إلى البُعد الجغرافي للمسجد الأقصى، على النحو التالي:

إنَّ المسجد (الأقصى) ليس محدودًا زمنيًا بوقت نزول السورة الكريمة، بل هو الأقصى في كلِّ الأوقات، وهو وإنْ كان الأقصى من الناحية الجغرافية، لكنه الأقصى أيضًا من الناحية العملية على أرض الواقع، وإلا فماذا يقول الذين لا يستطيعون الوصول إليه والصلاة فيه من أهل فلسطين وبيت المقدس وأكنافه؟ هل هو بعيد عنهم جغرافيا؟! أم أنّه بعيد عنهم من حيث حرية الوصول إليه، ومن حيث عدم سيادة أصحابه من المسلمين وأهل الديار عليه؟!

ولئنْ كانت الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، فإنَّ للمسجد الأقصى كرامةً خاصَّةً، حيثُ الرباطُ والجهاد وبذل الأرواح والمُهَج والدماء والأموال دفاعًا عنه، وذودًا عن أبوابه، وفي هذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يُلفت الأنظار إلى هذه المعاني ليظلّ الأقصى في نظر المسلمين في كلّ الأزمان أكبر وأقصى من كلّ الغايات، فعن أبي ذر رضي الله قال: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا – أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).[1]

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (وليُوشِكَنَّ أنْ يكونَ للرجل مثلُ شَطَن فَرَسه من الأرض حيثُ يرى منه بيت المقدس خير من الدنيا جميعاً) أيْ أنَّ المسجد الأقصى سيكون من العسير على المسلمين أنْ يَصِلُوا إليه لِيُصَلُّوا فيه، بل إنَّ بعضهم ستكون أكبر أمنياتهم أنْ يرَوْه بأعينهم مجرد الرؤية، فهو في الأَسْر وتحت

[1] المستدرك على الصحيحين ٥٥٤/٤

الاحتلال، ولا يستطيع أنْ يَصِل إليه المسلمون حتى من أبناء الأرض المقدسة (فلسطين)، وأحيانًا حتى من أبناء المدينة المقدسة ذاتها.

وفي هذا الحديث حثٌّ على حبِّ الأقصى والسعي إليه، والمزاحمة من أجله ومن أجل الوصول إليه، والرباط فيه والدفاع عنه، ومن استطاع أنْ يمتلك مساحة صغيرة مثل زمام الفرس، أيْ (مترًا مربعًا) أو زدْ عليه قليلًا، بحيث يرى منه بيت المقدس، – وإنْ لم يستطع الوصول إليه – فهو خيرٌ له من الدنيا بحذافيرها.

وفي كل هذا من الأجور والثواب ما يجعل الأقصى غاية الغايات، ومنتهى الأهداف لكلِّ المسلمين، فَحَوْلَه وفي أكنافه ستكون دولتهم وقوتهم وعزتهم، وهو منتهى الأجر والتجارة مع الله تعالى إنْ كُتب لأحدٍ أنْ يُستشهَد على أبوابه، وهو أقصى القداسة والطهارة، وأقصى البَرَكَة ومركزُها، وهو الأقصى زمانًا، حيثُ تَنزِل الخلافة ببيت المقدس، ويَنزِل عيسى بن مريم عليه السلام إلى الأرض المقدسة، فيقيم العدل، ويحكم بالقسط بإذن الله تعالى.

وليس عبثًا بعد هذا كلِّه أنْ يكون الأقصى هو نهايةَ رحلة الإسراء، وبداية ومنطلق الرحلة إلى السموات العُلا، فهو أقصى الرحلة ومبتغاها، وأقصى الظهور على الحق، ثمَّ هو الأقصى حيث سيكون الحشر والنشر لكلِّ البشر.

الوقفةُ الثانيةُ

﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾

لقد بارك الله تعالى في فلسطين، وسمَّاها الأرض المباركة، فصارت تُعرف بالبركة والقداسة، لوجود المسجد الأقصى في قَلْبها ومحورها، ولقد بُوركت فلسطين في آياتٍ عديدةٍ من القرآن الكريم، ما جعل أفئدة المسلمين تهوي إليها على مرِّ السنين.

وفي هذا يقول الله تعالى مخبراً عن إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ {الأنبياء: ٧١}، فالله تعالى نجّى إبراهيم ولوطًا عليهما السلام بدخولهما فلسطين المباركة، مهاجِرَيْن من أرض العراق، وجبروت الطاغوت نمروذ.

وقد منَّ الله تعالى على سبأ بأنْ جعل بينهم وبين فلسطين قرىً ظاهرة تُسهِّل عليهم السفر إليها، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ {سبأ: ١٨}، فلم يكونوا في حاجة لحمل

الزاد، فما يبْرحُون قريةً إلاّ ويصلُون إلى أخرى قبل أنْ تقرِضَهم الشمسُ بالمغيب.

ومن نعمة الله تعالى على سليمان عليه السلام أنْ جعل الريح تجري بأمره إلى أرض فلسطين المباركة، فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ {الأنبياء: ٨١}

وبعد أنْ أغرق الله فرعون وملأه، ونجّى بني إسرائيل من ظُلمهم وطغيانهم، أورثهم الأرض المباركة بما صبروا على الشدائد التي كابدوها، فقال الله عزَّ شأنه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ {الأعراف: ١٣٧}.

لكنّنا نجد أنَّ من العلماء منْ وسَّع في الأرض المباركة، فجعلها من النيل إلى الفرات، فالآية لم تحدد حدوداً للبركة التي جعلها الله تعالى حول المسجد الأقصى، ومنهم منْ جعل الأرض المباركة هي كلَّ بلاد الشام لتشمل فلسطين والأردن وسوريا ولبنان.

وأيًّا ما كان الأمر، فإنَّ فلسطين مباركة باتفاق جميع العلماء، وبلا خلاف بين أهل الأرض، فلو قلنا: إنَّ الأرض المباركة هي بلاد الشام، فإنّ فلسطين هي قلب الشام، ولو قلنا: إنَّ الأرض المباركة هي الواقعة من النيل إلى الفرات، فإنَّ فلسطين تكون في قلب هذه الأرض المباركة.

وليس عبثًا أنْ نجد اليهود يرسمون على عَلَمِهِم خَطَّين أزرقين يرمزون بهما إلى النيل والفرات، في إشارة إلى خُطَطهم للسيطرة على كل البلاد الواقعة بين النيل والفرات والتي تحيط بفلسطين، فهم يقولون: حدودك يا (إسرائيل) من الفرات إلى النيل، وربما تطلعوا إلى السيطرة على المنطقة العربية كلِّها، حتى لا يفقدوا فلسطين التي يحتلونها.

إنَّ الناظر في الواقع يرى أنَّ هذه الأرض الواقعة بين النيل والفرات هي أرض الأحداث الكبرى في العالم في الماضي والحاضر، ولا عجب في ذلك فهي أرضٌ تجاور فلسطين، حيث مركزية البركة.

وفي العصر الحديث رأينا احتلال فلسطين من قبل اليهود، واحتلال شبه جزيرة سيناء، واحتلال هضبة الجولان السورية،

واحتلال العراق من قبل الأمريكان، وتتحكم روسيا الآن في الأرض السورية، وكل هذه البلاد تقع بين النيل والفرات، وتحيط بفلسطين التي قد تداعتْ عليها الأمم كما تتداعى الأَكَلَة إلى قَصْعتها.

ولذلك نجد في أحاديثَ أخرى أنَّ النّبيّ (ﷺ) ينبّه أهل الشام إلى بركة أرضهم حتى يعضّوا عليها بالنواجذ، ومنها هذه الروايات الخمس:

١. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(... فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وأهله).** (١) في إشارة إلى أنّ أرض فلسطين ستتعرض لأحداثٍ كبرى، فهي قلب الشام، وبؤرة الأرض المباركة.

٢. وهو نفسه ما نجده في الحديث: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه، يرفعه، **(... وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ).** (٢)

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، (٥٨/٢٢) (١٣٧) وفي مسند الشاميين (٣٣٨٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/٧٨) وقال:" صحيح"، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٠٢):" رواته ثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٢): " رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٤٠٧٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٠٩٠).

(٢) سنن النسائي، كتاب الخيل، بابٌ، ح ٣٥٦١. وصححه الألباني.
وأخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ١٦٤) ح ١٦٩٦٥. وحسّنه الأرناؤوط.

٣. وفي الحديث عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: **(طُوبَى لِلشَّامِ)، قِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا).** [1]

٤. وهذه البركة تتدرج في معنى البركة المخصوصة بهذه الأرض، فهي أرض إبراهيم عليه السلام، يقولَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ ...).** [2]

---

(١) مسند أحمد (٣٥/ ٤٨٣) ح ٢١٦٠٧. وصححه الأرناؤوط، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل الشام واليمن، ح ٣٩٥٤. وقال الترمذي بعده: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وصححه الألباني، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٩٣) ح ٧٣٠٤، وصحّحه الأرناؤوط كذلك.

(٢) أخرجه أبو داوود (٤/٣)، (٢٤٨٢)، وأحمد (٢/١٩٠) (٦٨٧١)، والطيالسي (٣٠٢٧٥) (٢٢٩٣)، والحاكم (٤/٥٣٣) (٨٤٩٧)، وأبو نعيم في الحلية(٦/٥٣)، ونعيم بن حماد في الفتن(٢/٤٦٤)(١٣٠٨)، قال ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٨٧): "اسناده لا بأس به"، وفي هداية الرواة(٥/٤٩٧) أشار إلى أنه حسن كما في المقدمة، قال أحمد شاكر في مسند أحمد(١١/١٥٣): " إسناده صحيح"، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠٣) بعد أن تراجع عن تضعيفه، انظر مراجعات العلامة الألباني (١/٤)(٢٨)، وصحيح الترغيب (٣٠٩١).

٥. وعنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، مرفوعًا: **(عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللهِ يَسْكُنُهَا خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، ...).** (١)

ولم يكن من قبيل الصُّدفة أنْ تكون معظم الانتصارات الكبيرة للمسلمين قد تحققت في فلسطين المباركة، فهي بركة النصر، وبركة الصبر، وبركة الأنبياء، وبركة الأرض، وبركة المسجد الأقصى.

وسأذكر هنا بعضاً من الأحداث الكبرى التي وقعت في فلسطين أو ما حولها:

١. في فلسطين كان فتح يوشع بن نون عليه السلام، والقضاء على القوم الجبارين من بعد فترة التيه التي ناهزت الأربعين من السنين.

٢. وفي فلسطين كان تحرير طالوت الذي أوتي بسطةً في العلم والجسم بفئة قليلة من بني إسرائيل.

٣. وفي فلسطين وما حولها كان الفتح الإسلامي بمعركة اليرموك وما تلاها، مع محاولة تحريرها بغزوة تبوك وجيش أسامة من بعد غزوة مؤتة، بل كان من أهداف فتح خيبر تأمين الطريق إليها، بالقضاء على الخطر اليهودي.

---

(١)المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٥٨) ح ١٣٧، وصححه الألباني كما في تعليقه على الترغيب والترهيب للمنذري، ص ١١٢٤، ح ٤٤٤١.

٤. وفي فلسطين كانت حطين، وكانت نهاية الصليبيين.

٥. وفي فلسطين كانت عين جالوت التي انهزم فيها المغول.

٦. وفي فلسطين كانت موقعة أجنادين، وبيسان.

٧. وفي فلسطين سيكون التتبير لإفساد بني إسرائيل الأخير بإذن الله تعالى.

٨. وفي فلسطين سيقتُل عيسى بن مريم عليه السلام الأعور الدجَّال عند "باب لُدٍّ الشرقي" بإذن الله تعالى.

٩. وفي فلسطين ستنتهي زحوف يأجوج ومأجوج بإذن الله تعالى، وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون.

١٠. وفي فلسطين سيحكم عيسى بن مريم عليه السلام بالإسلام أربعين سنةً قبل يوم القيامة بإذن الله تعالى.

١١. وإلى فلسطين سيكون المحشر، ومنها سيكون المنشر بإذن الله تعالى، إمَّا إلى الجنان، وإمَّا إلى النيران.

الوقفةُ الثالثةُ

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾

ماذا رأى النبيُّ (ﷺ) في رحلتي الإسراء والمعراج؟

ما الآيات التي تتحدث عنها الآية الكريمة؟

إنَّ لام التعليل في الفعل ﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ تُنبئنا بأنَّ رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تحديداً، ومنه إلى السموات العُلا، كانت من أجل أنْ يرى محمدٌ (ﷺ) من آيات الله الكبرى ما لم يَرَهُ وهو في مكة، ولا بطريق الوحي.

والآية في اللغة هي الدليل والبرهان، ويبدو أنَّ هذه الآيات التي رآها النّبي صلّى الله عليه وسلّم في رحلة الإسراء والمعراج ليست من الآيات الأرضية، فقد كان النّبيّ (ﷺ) قبل الإسراء والمعراج في الأرض، وكان يتنزّل عليه الوحي بالقرآن، لكنّ تلك الآيات ليست وحياً ينزل به جبريل عليه السلام، ولكنّها آياتٌ سيراها محمد (ﷺ) بنفسه، وسيعاينها بقلبه وبصره، بلا زيغ أو طغيان، يقول الله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ {النجم: ١٧ – ١٨}.

إذنْ فقد رأى النّبيّ (ﷺ) هذه الآيات فعلاً، كما قال الله تعالى: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ {الإسراء:١ }.

- **فماذا رأى النّبيّ (ﷺ) في تلك الليلة المباركة؟**

- **وما الآيات الكبرى التي رآها رأي العَيْن والفؤاد؟**

كثيرةٌ تلك المشاهد التي رآها النبي (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، وكتب السيرة تذكرها، وتتوسع في شرحها، ومنها رؤية البيت المعمور، وسدرة المنتهى، والمسجد الأقصى، ونهر الكوثر، وجبريل عليه السلام على هيئته، والجنة، والنار، وفرضية الصلاة، وأحوال الناس الذين يُعذَّبون في النار، وغير ذلك من المشاهد.

وإنني أرى أنَّ معظم الآيات التي رآها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في رحلة الإسراء والمعراج لها علاقة بالرحلة نفسها، وبالمسجد الأقصى، وبالأرض المباركة، وبما سيحدث في هذه الأرض المباركة والمسجد الأقصى من أحداثٍ كبرى، وبما تعرَّضتْ له الأمة الإسلامية خلال مسيرتها، خاصة من قِبَل اليهود الذين تتحدث عنهم سورة الإسراء، بل عن نهايتهم على أرض فلسطين، على أيدي عبادٍ لله أولي بأس شديد.

وقد قمت بجمع بعض هذه الآيات التي رآها النبي (ﷺ) خاصة المتعلقة بالأرض المباركة والمسجد الأقصى، وأَهَمُّها ما يلي:

أوَّلاً: رؤية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لبعض الأنبياء والمرسلين الكرام في السموات:

فقد رأى عليه الصلاة والسلام في السماء الأولى آدم عليه السلام، ورأى في السماء الثانية ابني الخالة يحيى وعيسى بن مريم عليهما السلام، ورأى في السماء الثالثة يوسف عليه السلام، ورأى في السماء الرابعة إدريس عليه السلام، ورأى في السماء الخامسة هارون عليه السلام، ورأى في السماء السادسة موسى عليه السلام، ورأى في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام مُسنِداً ظهره إلى البيت المعمور، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في حديث الإسراء والمعراج أن النبيّ قال: (**... فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ... فَإِذَا فِيهَا آدَمُ،.. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، ...، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، ...، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، ...، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، ...، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ... خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، ...، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ ...**

فَإِذَا هَارُونُ، ... حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ... فَإِذَا مُوسَى، ...، ثُمَّ صَعِدَ بِي [جبريل] إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ... فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ...).[1]

- **ولنا أنْ نسأل: لماذا لم يكنْ مع هؤلاء الأنبياء نوحٌ عليه السلام وهو من أُولي العزم من الرسل؟!**
- **ولماذا لم يكن معهم صالحٌ عليه السلام؟**
- **ولماذا لم يكن معهم هودٌ وشعيبٌ، وغيرُهم من أنبياء الله تعالى عليهم السلام؟**

وبقليل من التدبُّر نجد أنَّ هؤلاء الأنبياء الذين رآهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في السموات هم من بني إسرائيل، أو أنّهم تعرّضوا للأذى من بني إسرائيل، أو أنَّ لهم علاقة بالأرض المباركة والمسجد الأقصى، **وفيما يلي بيان ذلك:**

١. **فموسى عليه السلام** من بني إسرائيل، وتعرّض للأذى منهم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ {الأحزاب:

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ح ٣٨٨٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات، وفرض الصلوات، ح ١٦٤.

٦٩}، ولهذا فقد استهجن عليه السلام منهم ذلك، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ {الصف: ٥}، وستتعرض يا محمدُ أنت وأمّتُك للأذى من بني إسرائيل كما تعرض موسى عليه السلام، ولكنّ أذاهم لنْ يضرَّكم: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ { آل عمران: ١١١}.

٢. **وهارون عليه السلام** تعرّض كذلك للأذى من بني إسرائيل، حتى كادوا يقتلونه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {الأعراف: ١٥٠}، فاصبرْ يا محمد على أذى اليهود، ولْتصبرْ أمتك على أذاهم، ولْتقاتلْهم يا محمد، ولْيقاتلهم المسلمون كافَّة كما يقاتلونكم كافَّة.

٣. **(وإدريس عليه السلام هو (إلياس)** من أنبياء بني إسرائيل من بعد زمن سليمان عليه السلام، أرسله الله لمَّا انتشرت الوثنية في الإسرائيليين، وساعد على انتشارها ملوكهم وبَنَوْا لها المذابح، وعبدوها من دون الله تعالى، ونبذوا أحكام التوراة وراءهم ظِهريًا، فقام إدريس (إلياس) عليه السلام يوبِّخهم على ضلالهم، ويدعوهم إلى التوحيد، ويُسمَّى في التوراة (إيليا) وله نبأٌ فيها كبير) [1].

وممَّا يُرجِّح لديَّ أنَّ إدريس هو إلياس عليه السلام، ما جاء في قراءةٍ تفسيريةٍ غير سَبْعِيَّةٍ لعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه للآية ١٢٣ من سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ {الصافات: 123}، فقد قرأها باستبدال (إلياس) ب (إدريس)، كما يلي: **(وإنّ إدريس لمن المرسلين)**، وكذلك فعل رضي الله عنه في الآية ١٣٠ من سورة الصافّات: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ {الصافات: ١٣٠} فقرأها كما يلي: **(سلامٌ على إدراسين)**، يقول القرطبي: (قال المفسرون: إلياس نبيٌّ من بني إسرائيل، ورُوي عن

(١) القاسمي، محمد جمال الدين، (تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل)، المجلد الثامن، ص٩٦، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م.

ابن مسعود قال: إسرائيل هو يعقوب، وإلياس هو إدريس، وقرأ " وإنَّ إدريس" ، وقاله عكرمة، وقال: هو في مصحف عبد الله بن مسعود " **وإنَّ إدريس لمن المرسلين**" [1].

(وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أنَّ إدريس لم يكن جَدًّا لنوح، وإنِّما هو من بني إسرائيل، لأنَّ إلياس قد ورد أنَّه من بني إسرائيل، واستدلَّ على ذلك بقوله عليه السلام للنبي صلَّى الله عليه وسلم: "مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح"، ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وإبراهيم، حيث قالا: مرحبٌا بالنبي الصالح والابن الصالح).[2]

ورؤية النّبيّ محمد (ﷺ) لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة كما في الصحيحين تلفت النظر إلى أخلاق بني إسرائيل، وإفسادهم الأوّل في فلسطين حيثُ عبدوا الأوثان، واتّخذُوا (البَعْلَ) – وهو اسم صنم – إلهاً من دون الله عزّ وجلّ، كما في سورة الصافات حكايةً عن إلياس الذي هو إدريس عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن)، المجلد الثامن، ص ٩٩، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م

(٢) العسقلاني، ابن حجر، (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، ج٦، كتاب الأنبياء ص ٣٧٣، دار المعرفة، بيروت.

وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ {الصافات: ١٢٣– ١٢٥}، فكانت نهايتُهم هي الزوالَ والسَّبْيَ، وهو ما سيحدث يا محمدُ في إفسادهم الثاني في فلسطين في وعد الآخرة بإذن الله تعالى.

فرؤية إدريس عليه السلام لها علاقة بأهداف رحلة الإسراء والمعراج، من تثبيت النبيّ عليه السلام، وتثبيت أمته، ولها علاقة بالأرض المباركة بشكل مباشر، وببني إسرائيل، والصراع معهم، فإدريس عليه السلام قد كان نبياً مرسلًا لبني إسرائيل، في الأرض المباركة (فلسطين)، وقد عانى منهم، وقاوم ضلالهم، حيثُ عبدوا البَعْل والأوثان من دون الله، ورؤية إدريس عليه السلام في السماء من شأنه أنْ يُصَبِّر محمداً صلّى الله عليه وسلّم وأمتَه، ويحْذَرَوا إفسادَهم، ويقاوموا ضلالَهم وإضلالَهم.

٤. **ويوسف عليه السلام** من بني إسرائيل، وقد قصً الله تعالى قصته مع إخوته في سورة يوسف، ليتعرف النّبيّ عليه الصلاة والسلام على نفسياتهم وأخلاقهم، فيُحْسِن التصرف هو وأمته معهم.

ويوسف عليه السلام كان تحركه في الأرض الواقعة بين النيل والفرات، وقصته مع إخوته وتحرك إخوته كان في المنطقة

الواقعة بين النيل والفرات، وهو ما يلفت النظر إلى هذه المنطقة التي تَحْدُث فيها أحداث كبيرة ذات تأثير على المسلمين.

٥. **وعيسى عليه السلام** الذي أرسله الله في الأرض المباركة فلسطين، حيث خطَّط بنو إسرائيل لقتله، ولكنَّ الله نجَّاه، ورفعه إليه، وشُبِّه لهم أنهم قتلوه، وفي هذا إشارةٌ إلى مكر اليهود وغدرهم، وأنهم قوم أهل خيانة وفساد، وسيكون لك معهم يا محمد أنت وأمتك جَوْلاتٌ وجَوْلات من الصراع.

٦. **ويحيى عليه السلام** الذي أمره الله تعالى بأنْ يكون قويًا في الحقّ، ويثْبُت عليه، فلا تُثْنيه تهديدات بني إسرائيل عن المُضيّ في الدعوة بقوة تحقيقًا وامتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ {مريم:١٢}.

وفي هذا وعظٌ للنبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأنْ يصبر هو وأمتُه على عدوان اليهود، فيردُّوا عدوانهم بكل قوةٍ وحزْم.

٧. **أمَّا آدم عليه السلام** فهو أصلُ البشر، ورؤية النبي (ﷺ) له في السماء الأُولى عودةٌ إلى أصل الإنسان، فهو البداية، وفي هذا تدبُّرٌ يَلْزَم محمداً (ﷺ) في حياته وحياة أمته.

وآدم عليه السلام هو أوّل مَنْ بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، فتكون رؤية النّبيّ محمّد (ﷺ) له في

السماء الأولى لتأكيد الارتباط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فهو ارتباط قديم يمتدّ إلى آدم عليه السلام.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: **(قلت يا رسول الله، أيّ مسجد وضع في الأرض أوّل أيْ للصلاة فيه؟ قال: المسجد الحرام، فقلت: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما أدركت الصلاة فصلِّ، والأرض لك مسجد).**(١)

ويقول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (واختُلِف في أوّل مَنْ أسَّس بيت المقدس، فرُوي أنّ أوّل مَنْ بنى البيت الحرام آدم عليه السلام، فيجوز أنْ يكون ولدُه وَضَع بيت المقدس من بعده بأربعين سنة).(٢)

وأورد ابن حَجَر في الفتح، "كتاب أحاديث الأنبياء": (إنَّ أوّل مَنْ أسَّس المسجد الأقصى آدمُ عليه السلام)، وقال أيضاً: وقد وجدتُ ما يشهد ويؤيد قول مَن قال: إنَّ آدم عليه السلام هو الذي أسَّس كِلا المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب (التِّيجان) أنَّ آدم عليه السلام

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ١٠، ح٣٣٦٦، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، أول الكتاب، ح٥٢٠

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، المجلد الرابع، ص١٤٨، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

لمّا بنى الكعبة، أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأنْ يبنيه، فبناه، ونَسَك فيه).[1]

٨. **وإبراهيم عليه السلام** صاحب الملّة الحنيفية الحق التي عليها محمد (ﷺ)، فهو أبو الأنبياء، وهو أبو إسماعيل عليه السلام، الذي جاء من نسله محمدٌ (ﷺ)، وهو الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ {آل عمران: ٦٧}، فهو في أعلى السموات بما يمثّل من توحيد، ومِلّة حنيفية صافية سمحة.

ورؤية النبي محمّد (ﷺ) لإبراهيم عليه السلام هي رؤية الحق والإسلام والملّة الأولى، مع ما لإبراهيم عليه السلام من ارتباط وثيق بالأرض المباركة فلسطين، فهي الأرض التي هاجر إليها عليه السلام عندما قال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ {الصافات: ٩٩}، فهي خير الأرض، وأهلها خيار أهل الأرض، وهو ما جاء في الحديث الصحيح: عن عَبد اللَّهِ بْن عَمْرٍو رضي الله عنه أنه قال:

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٦، ص٤٠٧، دار المعرفة كتاب الأنبياء.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ...).**(١)

إنَّ هؤلاء الأنبياء جميعاً الذين رآهم النبي محمّد (ﷺ) في السموات لهم ارتباط بالأرض المباركة (فلسطين)، إقامةً، أو هجرةً، أو زيارةً، ولهم ارتباط ببني إسرائيل انتساباً، أو دعوةً ورسالة.

ولا شكَّ أنَّ رؤية النبي (ﷺ) لهؤلاء الأنبياء في رحلة الإسراء والمعراج من الآيات الكبرى التي كانت من أجلها الرحلة.

ثانياً: إمامة النّبيّ محمد (ﷺ) بالأنبياء:

فقد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبيّ (ﷺ) صلّى إماماً بجماعة من الأنبياء في المسجد الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا**

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣/٤)، (٢٤٨٢)، وأحمد (٢/١٩٠) (٦٨٧١)، والطيالسي (٣٠٢٧٥) (٢٢٩٣)، والحاكم (٤/٥٣٣) (٨٤٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٥٣)، ونعيم بن حماد في الفتن (٢/٤٦٤) (١٣٠٨)، قال ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٨٧): "إسناده لا بأس به"، وفي هداية الرواة (٥/٤٩٧) أشار إلى أنه حسن كما في المقدمة، قال أحمد شاكر في مسند أحمد (١١/١٥٣): " إسناده صحيح"، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠٣) بعد أن تراجع عن تضعيفه، انظر مراجعات العلامة الألباني (١/٤) (٢٨)، وصحيح الترغيب (٣٠٩١).

مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ[(١)]، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءةَ[(٢)]، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ).[(٣)]

ولا شكّ أنَّ هذه آية من آيات الله الكبرى، أراها لنبيِّه (ﷺ)، ويُمكننا الوقوف عند بعض الدّلالات فيها:

١. مكان الصلاة هو المسجد الأقصى في فلسطين، ليكون الأقصى وفلسطين بعد ذلك في ضمير كلِّ المسلمين، في كلِّ العصور، فها

---

(١) نقول: رَجلٌ ضَرْبٌ، أيْ نحيف خفيف اللحم، معشوق القدّ، ماضٍ في الأمور. خفيف في قضاء الحاجة (المعجم الوسيط، ج١، ص٥٣٧).

(٢) الرجل الشنوءة: المتقزِّز من المعايب، المتباعد عنها، وقوله: كأنه من رجال شنوءة، حيٌّ من اليمن يُنسبون إلى شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله، (تحفة الأحوذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العالمية، ص٩٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسبح ابن مريم، والمسيح الدجال، ح ١٧٢.

هُم الأنبياء ينتظرون النبي (ﷺ) في بيت المقدس فيَؤُمُّهم بحضور جبريل عليه السلام، وغيره من الملائكة.

٢. هذه الصلاة لجماعة من الأنبياء بإمامة النبي (ﷺ) لم تحدث في مكان غير المسجد الأقصى وفلسطين، ولم تحدث لنّبيٍّ غير محمدٍ (ﷺ).

٣. فلسطين المباركة ستكون في أقصى الزمان وآخره لأتباع محمد (ﷺ) الإمام الخاتم والنبي القائد، والمسجد الأقصى سيكون مركز الخلافة الخاتمة.

٤. عند نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، فإنَّه سيكون على دين ذلك الإمام، وهو الرسول محمد (ﷺ)، ويحكم بشريعته الخاتمة.

ثالثاً: رؤية النِّيل والفُرات:

ومن الآيات الكبرى التي رآها النبي (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، ولها علاقة بالأرض المباركة فلسطين، رؤيته عليه الصلاة والسلام لنهري النيل والفرات بالذات من دون كلّ أنهار الأرض في هذه في الحياة الدنيا.

جاء في خبر الإسراء والمعراج أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حدَّث صحابته عنه، فيما يرويه أنسُ بن مالك رضي الله عنه، وفيه: (**... ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ...**).[1]

- فهل يُعقَل أنْ تكون رؤية النبيّ صلّى الله عليه وسلم للنيل والفرات في السماء من باب التسلية أو التمتع؟!
- أمْ أنَّ النيل والفرات يرمزان إلى خصوصية المكان في الأرض، وإلى إشارات لأحداث كبرى تجري بين هذين النهرين؟

ويبدو لي أنَّ هذه آية من الآيات الكبرى المتضمَّنة في الآية ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ {الإسراء: ١}، ليعرف المسلمون أنّ المنطقة الواقعة بين هذين النهرين (النيل والفرات) هي منطقة صراعات مستمرة مع بني إسرائيل وحلفائهم من الصليبيين وغيرهم، وأنّ بني

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ح ٣٨٨٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السموات، وفرض الصلوات، ح ١٦٤.

إسرائيل سيكون لهم إفسادٌ ثانٍ في الأرض المباركة فلسطين وما حولها، وهو ما نراه الآن فعلاً.

رابعاً: رؤية الشجرة الملعونة في القرآن:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ {الإسراء: ٦٠}.

- ما هذه الشجرة الملعونة في القرآن؟
- وبأيّة صيغةٍ لُعِنت؟
- ومن الذي لعنَها؟ ولماذا؟

عندما نرجع إلى القرآن الكريم، ونُفتِّش عن شجرة حقيقية تَمَّ لعنُها في القرآن فإننا لا نجد هذه الشجرة، ولكننا عند الرجوع إلى أقوال المفسرين الكرام نجد أنّ كثيرين منهم يرى أنَّ الشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم، التي جاء ذكرها في سياق الحديث عمّا أعدّ الله تعالى للظالمين في نار جهنم كما في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ {الصافات: ٦٢-٦٥}.

وهذه الأقوال لا تستند إلى دليل تتقوّى به من الأدلَّة الصحيحة من القرآن الكريم، أو من السنة الصحيحة، أو من اللغة العربية،

فليس في الآيات السابقة ما يُشير من قريب أو بعيد إلى أنّ شجرة الزقوم ملعونة، ولم يرِدْ في كلِّ القرآن الكريم لَعْنٌ لها، بل هي من جنود الله تعالى، يُعذِّب بها الكافرين والمجرمين والظالمين، وحالها كحال النار، والجحيم، والمُهْل، والحميم الغسّاق، وطعام الضّريع، ومقامع الحديد، وسرابيل القطران، وخزنة جهنم من الملائكة، فهي جميعًا آلات عذاب للكافرين، وهي من جنود الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {الفتح: ٧}.

وإنَّ شجرة الزقوم لم ترتكب ذنبًا لتُلْعَن به، فاللعن عادةً يكون عقوبة على معصيةٍ أو فعلٍ مُحرَّم، ولا نجد لشجرة الزقوم معصيةً، أو فعلًا مُحرَّمًا، أو ذنبًا يلعنها الله به، وهي مخلوقةٌ لتكون طعامَ الأثيم لأهل النار كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ {الدخان: ٤٣-٤٥}، ولذا فلا نستطيع أنْ نُسَلِّم بلعنها، أو بأنها الشجرةُ الملعونةُ في القرآن.

فما هذه الشجرة الملعونة في القرآن؟

- جاء في تفسير أبي القاسم الكعبي البَلْخي: (والشجرة الملعونة في القرآن يجوز أنْ يكون المُراد بها الكفار).

- وفي تفسير أبي بكر الأصمّ: (الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود).

- وفي زاد المسير لأبي الفرج بن الجوزي يُورِد ثلاثة أقوال في تفسير الشجرة الملعونة، أحدها: (إنّ الشجرة كنايةٌ عن الرجال)..

- وبهذا قال الماوردي في تفسيره (النكت والعيون): (الشجرة الملعونة في القرآن: إنّها اليهود، وإنَّ الشجرة كنايةٌ عن المرأة، والجماعة أولاد المرأة، كالأغصان للشجرة).

وهذه أقوال تستريح لها النفس، فاليهود شجرةٌ ملعونةٌ في القرآن الكريم بصورة صريحة واضحة، إذ يقول الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ {المائدة: ٧٨}.

والناس في حياتهم يستخدمون كلمة: (شجرة) للتعبير عن النسل والتفرُّع، وقد عبَّر القرآن الكريم عن الإسلام بالشجرة الطيبة كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ {إبراهيم: ٢٤}، فلا عجَب أنْ يُعبّر عن اليهود بالشجرة الملعونة.

إنَّ تعبير القرآن الكريم عن هذه الشجرة الملعونة بالرؤيا وليس بالرؤية - لأنّ الرؤية تدل على إبصار الحاضر، بينما الرؤيا تدل على إبصار المستقبل - يدلُّ على أنّ رؤيا النبيّ صلى الله عليه وسلم لليهود (الشجرة الملعونة) كان بمثابة كشفٍ غيبيٍّ لما سيقترفه اليهود

في الأرض المباركة، وما سيقترفونه من الإيذاء والضرر لأمة الإسلام على مدى السنين، وخاصة في أرض الشام، وهو ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن الشام كثيراً، وعن الأرض المباركة فلسطين، وعن الأقصى، وبيت المقدس، ويحثُّ المسلمين دائمًا على الصبر والرباط والجهاد، ويشجعهم على الدفاع عن هذه الأرض وعدم التفريط بها، لأنه رأى بعينيه ما ينتظر الأرض المباركة فلسطين من الإفساد والعلُوّ، وما ستجده هذه الأمة المسلمة من أذى اليهود.

وهو نفسه ما نبّهَنا إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى عن اليهود: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ {آل عمران: ١١١}، فالأذى والضرر واقع بكم منهم لا محالة، والمواجهة مع اليهود حتمية ومستمرة، والصراع طويل، ولكنّ النصر في النهاية لن يكون لهم بل سيكون للفئة المؤمنة بإذن الله تعالى.

خامساً: رؤيته عليه الصّلاة والسّلام لعمود الكتاب:

وقد حدثتْ ليلة أُسرِي به عليه الصلاة والسلام، فعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(رأيتُ ليلةَ أُسري بي عمودًا أبيضَ كأنَّه لؤلؤةٌ تحملُه الملائكة، قلتُ:**

ما تحمِلون؟ قال: عمود الإسلام، أُمِرنا أنْ نضعه بالشام، وبينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ الكتابَ اختُلس من تحت وسادتي، فظننتُ أنَّ الله قد تخلَّى من أهل الأرض، فأتبعتُه بصري، فإذا هو نورٌ بين يديّ، حتَّى وُضِع بالشام) [1].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(بيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ).** [2]

وفي رواية عن عَمْرَو بْن الْعَاصِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(بيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ).** [3]

---

(١) مسند الشاميين للطبراني (٥٩٠)، ومجمع الزوائد (١٦٦٤٤)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣١/٤): رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الرغيب والترهيب (٣٠٩٢)، وصححه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٤٤٧).

(٢) مسند أحمد (٣٦/ ٦٢) ح ٢١٧٣٣. وصححه الأرناؤوط، وأخرجه البزار في مسنده (١٠/ ٤٨) ح ٤١١١.

(٣) مسند أحمد (٢٩/ ٣١٠) ح ١٧٧٧٥. وصحّحه الأرناؤوط.

فالنبيّ (ﷺ) يرى عمود الكتاب تحمله الملائكة إلى الشام في نفس ليلة الإسراء التي أُسري به فيها إلى بيت المقدس، ليكون مقدِّمةً لما سيُريه الله تعالى من الآيات في هذه الرحلة العظيمة، فهو يرى ما سيحدث في الشام، ويرى أهل الشام، ويشهد لهم بالإيمان عند وقوع الفتن، وكأنَّ عمودَ الكتاب يرمز إلى الإيمان والقوة والثبات، وأنَّ عمود الكتاب مكانُه الأرض المباركة فلسطينُ، ومستقرُّه الشام، ومعلومٌ أنَّ أعظم الفتن التي يتعرض لها المسلمون تكون في الشام، وأنَّ أشدَّ هذه الفتن يكون وراءها بنو إسرائيل كما نرى بأعيننا، لذا فإنَّ النبي (ﷺ) يبشّر أهل الشام بأنّهم مكفولون من الله تعالى، وأنَّ الطائفة الظاهرة على الحق ستكون منهم، وأنَّ عزّة الإسلام ستكون على أيديهم بإذن الله.

والله تعالى إذْ يُري نبيَّه محمداً (ﷺ) هذه الآياتِ وغيرَها، فإنّما هي لحِكَم عديدة، وليزداد إيماناً وصبراً ويقيناً هو وأمته بأنَّ النصر للإسلام، وأنَّ العدوَّ الأكبر للمسلمين دائماً هم اليهود، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ {المائدة: ٨٢}، وإنَّ الأرض المباركة فلسطين ستكون في النهاية ظاهرة على اليهود.

ولا شكّ أنَّ هناك آياتٍ أخرى رآها النبي (ﷺ) في رحلة الإسراء والمعراج، لكنني اكتفيت بما له علاقة مباشرة بالأرض المباركة للعالمين فلسطين، وإفساد بني إسرائيل فيها، وعلوّهم الكبير، وزوال هذا الإفساد، وفوز المسلمين وانتصارهم وظهورهم.

ولعلّه من الضروري التنبيه إلى أنَّ حادثة الإسراء والمعراج قد جاءت في آخر العهد المكي بين يدي الهجرة، وانتقال الإسلام من الدعوة إلى الدولة، وهذه المرحلة لها تحدياتٌ كبرى مع اليهود في المدينة، ومع المشركين في الجزيرة، ومع القوى العالمية من الفرس والروم، فضلًا عن تحدّي قريشٍ نفسها، فلزم أنْ يرى النبيُّ عليه السلام من الآيات الكبرى ما يتسلّح به لمجابهة المرحلة الدامية في المدينة، إذْ إنّه في أقلَّ من عشْر سنين قد عَقَدَ اللّواءَ لسبعٍ وعشرين غزوةً، وستًا وخمسين سريّةً على الأقلّ.

وممّا يُستأْنَس به في ذلك أنَّ موسى عليه السلام قد أراه الله تعالى ما يثبت به فؤاده من آيات ربه الكبرى حين بعَثَهُ إلى فرعون الذي طغى في البلاد، فأكثر فيها الفساد، يقول الله تعالى: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ {طه: ٢٣ –

٢٤}، فقد رأى عليه السلام النار من بعيد، وناداه الله تعالى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة.

وخلاصة الأمر أنَّ النبيّ (ﷺ) رأى في رحلة الإسراء والمعراج من الآيات الكبرى التي تجعله مطمئنًا على الشام وفلسطين، وأنَّ هذه الأمة سيكون لها إخفاقاتٌ وكبواتٌ وتراجعات، وأنّه يلزمها الكثير من الإعداد، وبذل التضحيات، واحتمال الكثير من الضّنَك، لكنّها في النهاية إلى صعود وارتقاء، وأنَّ بني إسرائيل – هذه الشجرة الملعونة – إلى زوالٍ واندحار بإذن الله تعالى.

الوقفة الرابعة

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾

يقول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ {الإسراء: ٤}.

ما المُراد بقوله تعالى: (وَقَضَيْنَآ) و (فِي ٱلْكِتَٰبِ)؟

يقول الرازي في "مفاتيح الغيب": ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ {الإسراء: ٤}، أيْ أعلمْناهم وأخبرناهم بذلك، وأوحينا لهم.

ويقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: "وتَعْدِيَة (قضينا) بحرف إلى، لتضمين (قضينا) معنى (بلَّغنا)، أيْ: قضينا وانتهينا، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ {الحجر: ٦٦}.

فالله تعالى بعلمه القديم يعلم أنَّ بني إسرائيل سيُفسدون في الأرض مرتين، وهو يحذرهم ويوحي إليهم في التوراة أنَّ هذا سيكون.

ومعلوم أنَّ عِلم الله تعالى بمعصية العصاة لا يعني رضاه عن معاصيهم، بل إنهم يتحمّلون عواقب هذه المعاصي، وسيحاسبهم الله عليها في الدنيا، أو في الآخرة.

يقول الأستاذ سيد قطب في ظلال القرآن: "وهذا القضاء إخبارٌ من الله تعالى بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم، لا أنه قضاءٌ قهريٌّ عليهم، تنشأ عنه أفعالهم، فالله سبحانه لا يقضي بالإفساد على أحد:﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ {الأعراف: ٢٨}.

والمُراد بقوله تعالى: (فِي ٱلْكِتَٰبِ): هو التوراة، وهو الكتاب الذي أُنزل على نبيِّ الله موسى عليه السلام، وهو نفس الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ {الإسراء: ٢}.

يقول الأستاذ سيِّد قطب: "ولقد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين".

ولا يستقيم أنْ نقول: إنَّ الكتاب هنا هو القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يكن نازلًا في زمن موسى عليه السلام، ولم يكن بين أيدي بني إسرائيل، والذي كان بين أيديهم يقرؤون فيه وَحْيَ الله إليهم هو التوراة لا غير.

ولا يَصلُحُ أيضًا أنْ نقول: إنَّ الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون، لأنّ المُراد أنْ يعلم بنو إسرائيل في كتابٍ بين أيديهم بهذا القضاء، فيكونوا مسؤولين أمام الله تعالى عن أيِّ إفساد يقع منهم في الأرض المباركة.

وقد أخبرنا الله تعالى بهذين الإفسادين لبني إسرائيل في القرآن الكريم، لأنهما يخُصَّانِ المسلمين، وخاصّة الإفساد الثاني منهما، ليكونوا على علم وانتباه واستعداد، لمواجهة هذا الخطر الكبير الذي يستهدف أرضهم المباركة ومقدساتهم وأقصاهم.

الوقفةُ الخامسةُ

﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾

في الآية مبالغةٌ في تأكيد وقوع الإفساد من بني إسرائيل، فحرف الّلام في ﴿ لَتُفۡسِدُنَّ ﴾ للقسم، وهو للتوكيد، والنّون المشدّدة المتَّصلة بالفعل المضارع للتوكيد، فيكون وقوع الإفساد منهم مؤكداً في النَّص مرّتين.

يخاطب الله تعالى في هذه الآية بني إسرائيل مؤكداً لهم أنهم سيفسدون في الأرض المباركة (فلسطين) مرتين في عصرين مختلفين، وسيكون لهم مع الإفسادين في كلّ مرّة علوٌ كبيرٌ.

وليس المُراد بالإفساد هنا الإفساد الفردي، أو ما يُعرَف بإفساد الآحاد، فهذا يحدث في كل المجتمعات، حتى وإنْ كانت مجتمعاتٍ مؤمنةً في مجموعها، ولكنَّ الإفساد المقصود هنا هو الإفساد الجماعي (المجتمعي)، والذي يظهر في صور مختلفة، كما يلي:

١. الإفساد السياسي.

٢. الإفساد الاقتصادي.

٣. الإفساد العسكري.

٤. الإفساد الأخلاقي.

٥. الإفساد القانوني.

٦. الإفساد الديني.

٧. الإفساد التشريعي.

٨. الإفساد الإعلامي.

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾:

الأرض المقصودة هنا يجب أنْ تكون معروفة ومحددة لبني إسرائيل في زمان موسى عليه السلام، ولا يمكن أنْ يكون المراد كلّ الأرض، فهذا يكاد يكون مستحيلاً، وغيرَ واقعيّ.

ولا بدَّ أنْ يكون في هذه الأرض المسجد الأقصى، لقوله تعالى: ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}، فالمقصود هنا هو المسجد الأقصى (بيت المقدس) في المرَّتين، وهو ما أشارت إليه الآية الأولى في السورة ﴿ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾ {الإسراء: ١}.

ولذا، فإنَّ كلَّ توجيهٍ لكلمة (الأرض) هنا بعيداً عن فلسطين، أو عن المسجد الأقصى، نوعٌ من العبث، وهو تعسُّفٌ لا يفيد.

أيْ إنّكم يا بني إسرائيل سيقع منكم هذا الإفساد الجماعي (المجتمعي) في الأرض المباركة (فلسطين) مرتين في عصرين مختلفين، وفي زمنين متباينين، كما سيتضح لنا عند تأمّل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ {الإسراء: ٦}.

﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾:

ومع الإفساد المجتمعي لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) سيقع منهم علوٌ كبير في المرتين، والعلوُّ هنا علوٌّ استكبارٍ وطغيانٍ، وقتلٍ وتجبُّرٍ، وغلَبةٍ وظلمٍ، كما في الآية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ {القصص: ٤}.

فالعلوُّ عادة ما يكون معه الإفساد، والفساد، كما في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ {القصص: ٨٣}.

إنَّ عُلُوَّ فرعون هو طغيانه وظلمه وإفساده، ومثْله العلوُّ الذي سيقع من بني إسرائيل في المرتين: قتلٌ، وظلمٌ، وطغيانٌ، وبَغْيٌ، وانحرافٌ في كلِّ صور الإفساد المذكورة.

إنَّ هذه الآية تُظهر لنا أنَّ عُلُوَّ بني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) في المرتين سيكون علواًّ كبيراً، يكون فيه الاستكبار كبيراً، ويكون فيه الظلم كبيراً، والقتل كبيراً، والعدوان كبيراً.

الوقفةُ السَّادسةُ

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا ﴾

اجتهد المفسرون قديماً وحديثًا في تحديد كلٍّ من الإفساد الأوَّل، والإفساد الثاني لبني إسرائيل، لكنهم متفقون تقريباً على تحديد الإفساد الأول، حيث إنَّ هذا الإفساد قد زال وانتهى على يد (نبوخذ نصرً) ملكِ بابل في ٥٨٦ ق. م الذي قتل وسبى الآلاف من بني إسرائيل، وجاس خلال الأرض المقدسة (بيت المقدس)، وخرَّب كلّ شيء أو حرّقه.

يقول الرازي: (إنَّ بني إسرائيل تعظَّموا وتكبَّروا واستحلُّوا المحارم، وقتلوا الأنبياء، وسفكوا الدماء، وذلك أوّلُ الإفسادين، فسلّط الله عليهم (بُخْتنصَّر)، فقتل منهم أربعين ألفًا ممن يقرأ التوراة، وذهب بالبقية إلى أرض نفسه، أيْ بابل) [1].

ويقول القرطبي: (هم أهل بابل، وكان عليهم "بُختنصّر" في المرة الأولى، قاله: ابن عباس) [2].

---

[1] الرازي، فخر الدين، (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) المجلد العاشر، ص٣٥٤، دار الحديث، القاهرة.

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد، (الجامع لأحكام القرآن) المجلد الخامس، ص٥٥٥، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ويقول الطاهر بن عاشور: (الأشوريّون أهل بابل وهم جنود بختنصّر) [1]، وكذلك قال جمعٌ غفير من المفسرين منهم: (مقاتل في تفسيره، والنسفي في تفسيره، والسَّعْدي في تفسير كلام المنان، وابن كثير في تفسير القرآن الكريم، والزمخشري في الكشاف، وأبو الفرج ابن الجوزي في زاد المسير، والزجّاج في معاني القرآن وإعرابه، والدكتور محمد سليمان الأشقر في زبدة التفاسير، والشيخ محمد أبو زهرة في زهرة التفاسير، وأبو البركات التلُّوي في أبدع البيان لجميع آي القرآن، والمرغني في تاج التفاسير، والبغوي في معالم التنزيل، ود. وهبة الزحيلي في التفسير المنير، ... وغيرهم كثير).

ومن علماء أهل الأرض المباركة المعاصرين الذين تناولوا تفسير هذه الآيات من سورة الإسراء بشكلٍ منطقيٍّ وعلميٍّ مُقنعٍ كلٌّ من الدكتور يونس الأسطل، والأستاذ بسَّام جرَّار حفظهما الله.

يقول الدكتور يونس الأسطل: (إنَّ المُرجَّح أنَّ تحطيم الفساد الأوّل قد مضى، حيثُ سَلَّط الله عليهم كفرة المجوس من البابليين والأشوريين، وجاس بهم "نبوخذ نصَّر" خلال ديار اليهود، وتركها خاويةً على عروشها مائة عام، كما في قصة العُزَيْر أو غيره، حين مرَّ على بيت المقدس وهي خاوية على عروشها، وتساءل: أنّى يُحيى

---

[1] ابن عاشور، الطاهر محمد، (تفسير التحرير والتنوير) المجلد السابع، ص٣١، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، فوجد العمران قد أُعيد من جديد، فقال: أعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير) [1].

ويقول الأستاذ بسَّام جرَّار: (وهكذا نشأت مملكة "إسرائيل" في الشمال، ومملكة "يهوذا" في الجنوب وعاصمتها القدس، وكان الفساد، فكان الجوس من قِبَل الأعداء الذين اجتاحوا المملكتين في موجات بدأها المصريون، وتولّى كُبْراها الأشوريون والكلِدانيون القادمون من جهة الفرات، ففي سنة ٧٢٢ ق.م هاجم الأشوريون مملكة (إسرائيل) في الشمال ودمروها، وفي سنة ٥٨٦ ق.م زحف الجيش البابلي على مملكة يهوذا في الجنوب، وقَضَوْا عليها...) [2].

ويُمكنني تلخيص ما جاء في كتب التفسير القديمة والحديثة عن الإفساد الأول لبني إسرائيل كما يلي:

من المعروف أنّ الله تعالى لم يأذن لموسى عليه السلام دخول الأرض المقدسة (بيت المقدس) حين خذله بنو إسرائيل، ولم يعُدْ يملِك إلا نفسه، وأخاه هارون، وأنّ يوشع بن نون عليه السلام هو الذي دخل المدينة المقدسة بعد التيه، ومعه الأسباط من بني إسرائيل.

---

[1] الأسطل، يونس، (فلسطين من منظور إسلامي)، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر: فلسطين.. لن يطول ليل الغاصبين، في ذكرى النكبة الحادية والستين، ٢٠٠٩/٠٥/٢١م، ٢٥ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ.

[2] جرار، بسام، (زوال إسرائيل ٢٠٢٢م ... نبوءة أم صدف رقيمة)، ص٩، ط٣، ٢٠٠٢م.

وظلَّ الأمر مستقِراً لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) إلى أنْ تُوفي سليمانُ عليه السلام سنة ٩٣٥ ق.م، وتولَّى ابنُه المُلك بعده، وسرعان ما تمردَّ عليه شعبُه، وخلعوا طاعته.

وانقسمت دولته بعده إلى دولتين:

أ. دولة في الشمال: وتُسمَّى (إسرائيل) وعاصمتها (سَبَسْطِيَة) وكانت تضُمُّ عشرة أسباط.

ب. دولة في الجنوب: وعُرفَت بـدولة (يهوذا)، وعاصمتها (بيت المقدس)، وتضمُّ سِبْطَين، هما سِبط يهوذا، وسِبط بنيامين.

وكان أوَّلُ مَلِكٍ على مملكة (إسرائيل) في الشمال رجلًا يُقال له (يربْعَام)، خاف من رجوع رعاياه إلى طاعة ابن سليمان في مملكة (يهوذا) في الجنوب، إذا صعدوا إلى بيت المقدس في الأعياد، ليعبدوا الله، ويُقرِّبوا ذبائحهم هناك، فأقام في مملكته عجلين من ذهب، وأمر بعبادتهما، ورتَّب لهم أعياداً احتفاليةً وكَهَنَة.

وقامت حروب كثيرة بين ملوك هاتين المملكتين لبني إسرائيل، وكان يَتَخَلَّلُهما من الملوك مَنْ ينزع عبادة الأوثان، إلا أنّه لا يلبث الحال حتى يأتي مَلِكٌ جديد، فيُعيد الوثنية.

واستمرَّتْ مملكة (إسرائيل) في الشمال نحْواً من مائتين وخمسين سنة، وفي نهاية أمرهم عظُمَت خطيئاتُهم، فسلَّط الله عليهم مَلك أشور، ففتح السامرة – دولة الشمال – وسباهم إلى بابل، وانقرضت مملكة الأسباط العشرة، ولم يُسمَع ذِكرُهم بعد.

وأما مملكة (يهوذا) فبقيت بعد انقراض مملكة (إسرائيل) ما يزيد على عشرين عاماً، وفي أواخر أيامها قام فيها مَلك شرير، فزحف إليه مَلك بابل (نبوخذ نصَّر)، فسَبَى قسماً من شعبه، وكان هذا هو السَّبْيَ الأوّل.

ثم جاء بعد ذلك المَلِك الشرير ابنُه، فسار على طريقة أبيه، فعاد إليه مَلِكُ بابل (نبوخذ نصَّر) وأَسَرَه هو وآلَه وجنودَه، وقسماً من الشعب، وكان هذا هو السَّبْيَ الثاني بعد ثماني سنين من السَّبْي الأوّل، ثم قام فيهم ملِكٌ أكثر شَرًّا وسُوءاً ممَّن تقدَّم، وهو آخر ملوكهم، واسمه (صِدْقِيَا).

وفي آخر أيامه حاصر (نبوخذ نصَّر) بيت المقدس، ودخل على (صِدْقِيَا) وقلع عينيه، وقيَّده، وأسَرَه إلى بابل، وأحرق المدينة، وسَبَى كلَّ شعب مملكة (يهوذا) ما عدا مساكين الأرض، وهذا هو السَّبْيُ الثالث والأخير، وكان في سنة ٥٨٦ ق. م، وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ {الإسراء: ٥}.

الوقفةُ السَّابعةُ

﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾

اختلف العلماء والمفسرون في المُراد بقول الله تعالى: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ {الإسراء: ٥}، وفي تحديد هؤلاء العباد، على أقوال متباينة، وتأويلات مختلفة، لكنَّ بعض هذه الأقوال والتـــأويلات مرفوضة غريبة، لمخالفتها للحقائق التاريخية، ولمنطوق الآية الكريمة ومفهومها، ومنها هذان التأويلان:

التأويل الأوَّل:

وهو القول بأنّ الإفساد الأوَّل لبني إسرائيل في الأرض قد حدث في المدينة المنورة في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد حاول بعض المفسرين الكرام ممَّن يقولون بهذا القول أنْ يُثبتوا أنَّ المُراد بقوله تعالي: (عِبَادًا لَّنَآ) هم المؤمنون المتّصفون بصفات التقوى والصلاح.

وهذا يتعارض مع الحقائق التاريخية الثابتة من أوْجُه ثلاثة:

١. لم يكن لبني إسرائيل دولةٌ أو مُلْكٌ في المدينة على مرِّ التاريخ، لا قبل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في حياته، ولا بعده.

٢. إنَّ المدينة المنورة لم تكن ساحةً للإفساد الإسرائيلي وعلوِّهم الكبير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا خاضعين للدولة الإسلامية، وكان بينهم وبين المسلمين عهدٌ معروف، وميثاقٌ مكتوب.

٣. من المعلوم بداهةً أنَّ إفساد بني إسرائيل في المرّتين مكانُهُ الأرض المباركة (فلسطين)، وأنَّ خصوصية المسجد الأقصى لا بدَّ أنْ تكون حاضرةً في المرّتين لقوله تعالى: ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم لم يدخل على اليهود في المسجد الأقصى، لا في إفسادهم الأوّل ولا في إفسادهم الثاني.

وهو ما يجعلني أذهب إلى عدم قبول هذا التوجيه للآيات الكريمة، لمخالفته الحقائق على الأرض، ولمخالفته الحقائق التاريخية المعروفة، ولمخالفته لمنطوق ومفهوم الآية: ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}.

التأويل الثاني:

ومن المفسرين مَن جعل الإفساد الأوّل لبني إسرائيل قد وقع في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنّه هو الذي

أزال إفسادهم وقضى عليه، وهذا غير صحيح أيضاً من أوْجُهٍ أربعة، كما يلي:

١. لم يكن لبني إسرائيل أيٌّ شكلٍ من أشكال الفساد أو العلُوِّ في فلسطين في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن بنو إسرائيل هم الذين يسيطرون على بيت المقدس، ولا على فلسطين، بل كانوا لا يزالون في الشتات من بعد سَبْيِهم وزوال إفسادهم الأوّل على يد نبوخذ نصرٍ.

٢. عندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس كان الذين يحكمون هناك هم النصارى وليس اليهود، وقد تسلّم عمر بن الخطاب مفاتيح بيت المقدس بنفسه من حاكمها النّصراني (صفرونيوس).

٣. إنَّ العُهدة العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أُعطيت للنصارى، وليس لليهود.

٤. إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل بيت المقدس سِلْماً، وليس حرباً، ولم يحدث منه جَوْسٌ خلال الديار، كما في الآية: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ {الإسراء: ٥}، فلا وجْهَ للقول بأنَّ الإفساد الأوَّل كان في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(عِبَادًا لَّنَآ):

كلُّ المفسرين الذين قالوا بأنَّ زوال الإفساد الأوّل لبني إسرائيل كان على يد ملك بابل وجنوده لم يفهموا من قوله تعالى: (عِبَادًا لَّنَآ) أنّهم أهل إيمان وإسلام وصلاح، بل على العكس، فقد فهموا أنّهم كفارٌ وثنيُّون.

يقول السّعدي في تفسيره: (واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المُسَلّطين، إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار).[١]

ويقول الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: (والمقصود بعباد الله هنا الأشوريون)، ومعلوم أنَّ الأشوريين كانوا من أهل الشرك.[٢]

وقوله تعالى: (لَّنَآ): هو عبارة عن الضمير (نا) المتصل بحرف الجر(اللام)، وهو تركيب لا يفيد التزكية والامتداح والتقريب، بل يفيد المِلكية، فقوله تعالى: (عِبَادًا لَّنَآ) أيْ: إنّهم مملوكون لنا، ويتصرَّفون وفق مشيئتنا، ومن صفاتهم كونُهم ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ {الإسراء: ٥}، أمّا التزكية والامتداح والتقريب، فنجده في الضمائر

(١) تفسير السعدي، ص٤٥٣، دار ابن الجوزي، القاهرة

(٢) تفسير التحرير والتنوير، المجلد الخامس، ص ٢٨، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس

المتصلة بالأسماء في بعض الأحيان مثل: (بِعَبۡدِهِۦ) في قوله تعالى مقرِّبًا نبيّه محمداً صلّى الله عليه وسلّم: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ {الإسراء: ١}.، ومثل: (عَبۡدَنَا) في قوله تعالى عن النبي داود عليه السلام ممتدحًا وشاكرًا: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ {ص: ١٧}، وكما في قوله تعالى عن عباده المتوكِّلين على الله تعالى فلا يجعلون للشيطان سلطانًا عليهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ {الحجر: ٤٢}.

وإنَّ قوله تعالى: (عِبَادٗا لَّنَآ) لا يعني أنَّهم مؤمنون بالضرورة، للأسباب التالية:

أولاً: وردت كلمة (عباد) في سياقات عديدة في القرآن الكريم، ومنها ما يدلُّ على فسق هؤلاء العباد أو كفرهم، كما في الآيات التالية:

أ- ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ {الفرقان: ١٧}، وواضح أنهم ضالُّون، ولا يقول أحدٌ بأنّهم مؤمنون أو مهتدون.

ب- ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ {الزمر: ٥٣}، فهم مُسرفون على أنفسهم بالمعاصي.

ت- ﴿ نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ {الشورى: ٥٢}، فهناك عبادٌ لم تحدثْ لهم الهداية، فهم ليسوا مؤمنين، ولفظ العباد في الآية يشمل غير المهتدين.

ث- ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ {الحجر: ٤٢}، فالذين سيتَّبعون الشيطان هم عبادٌ أيضاً ولكنهم غاوون، ولا يقول أحدٌ بصلاحهم أو تقواهم، وذلك باعتبار الاستثناء متَّصلًا غير منقطع، أيْ أنّ ما بعد (إلّا) من جنس ما قبلها.

ثانيًا: جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه النوّاس بن سمعان رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم: (... إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ...)،[1] أيْ أنَّ الله تعالى قد أخرج يأجوج ومأجوج الذين لا يَقْوَى أحدٌ من البشر على قتالهم ومواجهتهم، لكثرتهم وقوّتهم، ومعلومٌ لكلِّ المسلمين أنَّ يأجوج ومأجوج ليسوا مسلمين أو مؤمنين، ولكنّهم عبادٌ لله كما في الحديث.

---

[1] صحيح مسلم٢٩٣٧

ثالثًا: جاءت صفة البأس الشديد في غير سورة الإسراء لغير المؤمنين، كما في قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ {النمل: ٣٣}، فلا تقتصر صفة البأس الشديد على المؤمنين، فقد اتَّصف بهذه الصفة جنود ملكة سبإ الكافرون الذي كانوا يسجدون للشمس كما في الآية السابقة، وهو ما نجده أيضاً في قول الله تعالى في حق جنود نبوخذ نصر الوثنيين: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ {الإسراء: ٥}.

رابعًا: ذكر ابن عبد ربِّه في العقد الفريد، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد: (واعلموا أنّ عليكم في مسيركم حفظةً من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحْيُوا منه، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إنّ عدونّا شرٌ منَّا فلنْ يُسلّط علينا وإنْ أسأنا، فرُبَّ قومٍ سُلّطَ عليهم شرٌّ منهم، كما سُلّط على بني إسرائيل لمّا عملوا بمساخط الله كفارُ المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً).[١]

إنَّ استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالآية من سورة الإسراء يشير إلى أمرين:

---

[١] العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، المجلد الأول، ص١١٧، دار الكتب العلمية، بيروت

أ. يعلم عمر رضي الله عنه أنَّ الله تعالى قد سمَّى المبعوثين على بني إسرائيل لإزالة إفسادهم عباداً له، كما في قوله عزّ وجلّ: (عِبَادًا لَّنَآ)، ولكنّه في الوقت نفسه يقول عنهم: (كفرة المجوس).

ب. يعلم عمر رضي الله عنه أنَّ الإفساد الأوّل لبني إسرائيل كان قبل الإسلام، ولذا فهو يستشهد بما حدث لبني إسرائيل لما أتَوا مساخطَ الله.

وممَّا سبق يتضح لنا أنَّ المقصودين بقوله تعالى: (عِبَادًا لَّنَآ) لم يكونوا مؤمنين، بل كانوا أهلَ وثنية وكفرٍ وشرك، وهذا يؤكد القول بأنَّ الإفساد الأوّل لبني إسرائيل في فلسطين قد حدث قبل الإسلام، ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو في عهد عمر الخطاب رضي الله عنه، أو بعد ذلك.

إنَّ قوله تعالى: (عِبَادًا لَّنَآ)، يدلُّ على أنّهم خاضعون لإرادة الله تعالى فيهم، ليكونوا آلةَ تأديبٍ وتهذيب لمَنْ يخرجون عن الهداية، ويقعون في الفساد والإفساد، ولذا كانوا من أهل البأس الشديد، والقوة، والشجاعة، والجُرأة، وهو ما يُستَأْنَس به في ترجيح القول بأنَّ هؤلاء العباد هم البابليون والأشوريون، وأنّ العامل المشترك بينهم وبين العباد الذين يسُوءُون وجوه بني إسرائيل في وعد الآخرة هو

أنّهم عبادٌ أُولو بأسٍ شديد، ولا شيء يَمنع أنْ يكونوا في الوقت نفسه عباداً مؤمنين، وهو ما نراه بأعيننا، ونشهده بأنفسنا في الأرض المباركة.

الوقفةُ الثَّامنةُ

﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾

(الجَوْس): فيه معنى التردد ذهاباً وإياباً بهدف الفحص والاستقصاء والتفتيش.

وقال الزجّاج: (طافوا خلال الديار هل بقي أحدٌ لم يقتلوه). [(١)]

ويقول د. وهبة الزحيلي: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ {الإسراء: ٥} أي تردَّدُوا وسط دياركم، لطلبكم، وقتلكم، وسبيكم، فقتلوا الكبار، وسَبَوْا الصغار، وأحرقوا التوراة، وخرَّبوا المسجد الأقصى، وبيت المقدس[(٢)].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: (إنّهم لا يقنَعُون في حروبهم بأماكن الجند، ومعسكرات الحرب، بل يدخلون المدائن، ويجوسون خلال دورها، ويترددون خلال هذه الدور)[(٣)].

---

(١) الزجاج، أبو إسحق إبراهيم، (معاني القرآن وإعرابه) الجزء الثالث، ص١٨٦، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢) الزحيلي، وهبة، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، الجزء الثامن، ص٢٢، دار الفكر، دمشق، ط١١، ٢٠١١م.

(٣) أبو زهرة، محمد، (زهرة التفاسير) الجزء الثامن، ص٤٣٣٦، دار الفكر العربي، القاهرة.

- ﴿ خِلَٰلَ ﴾: تعني في كلِّ مكانٍ، فالخِلال هو الانفراج بين الشيئين.
- ﴿ ٱلدِّيَارِ﴾: ديار بيت المقدس، قاله الرازي.
- **﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾:**

إنَّ هذا الجوس خلال الديار يتناسب مع الفاعلين له، وهم العباد الموصوفون بكونهم (أولي البأس الشديد)، فجوسُهم قوي وعنيف، يقتحمون كلَّ مكانٍ مهما كان ضيِّقاً، فهم يجوسون خلال الديار، أيْ الطرقات والأزقة، وفي الديار ذاتها، ليقتلوا مَنْ فيها، أو يسبُوهم، أو يعاقبوهم.

فهم لم يكتفوا بالمرور خلال الديار، بل إنهم يغْدُون ويَرُوحَون ذهاباً وإياباً، مراتٍ ومرات، وفي هذا إشارة إلى انعدام فرص النجاة لدى بني إسرائيل أمام هؤلاء الذين يجوسون في كلِّ مكانٍ بحثاً عمن يقتلونه.

وقوله تعالى:﴿ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾:

ففيه ثلاثة احتمالات:

١.يُحْتَمَل أنْ تكون هذه العبارة تعقيباً من الله تعالى على الإفساد الأول لبني إسرائيل، ليعلم محمد (ﷺ) والمؤمنون أنَّ الإفساد الأول قد تَمَّ وانتهى، وهو الأقرب، والله أعلم.

٢.ويُحْتَمَل أيضاً أنْ يكون المعنى أنّ إفساد بني إسرائيل الأول مقضيٌّ لا صارفَ له، ولا بُدّ منه.

٣.ويُحْتَمَل أنْ يكون المُراد هو أنَّ السُنَّة الإلهية في المجتمعات الإنسانية تقتضي دائماً معاقبة المفسدين بنفس ما اقترفوا، فالإفساد والعلوُّ الكبير الذي اقترفه بنو إسرائيل يستحقون عليه هذه النهاية الحاسمة، والجزاءَ الوِفاق.

وفي هذا يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (كانت غارات هؤلاء الغِلاظ الأشداء وعداً، لأنه بمقتضى السُّنَّة الإلهية أنَّ مَنْ كان فاسداً من الجماعات والأمم يكون فريسة لمن هم أقوى قوةً، وأكثر عدداً، وأشدُّ بأساً، ووصف الله سبحانه وتعالى الوعد بأنه مفعول، أيْ واقع وقائم ومنجز، فلا تتخلف الإغارة عن الفساد، كما لا يتخلف السبب عن سببه، ولا المقدمة عن نتيجتها)[١].

---

(١) أبو زهرة، محمد، (زهرة التفاسير)، الجزء الثامن، ص٤٣٣٦، دار الفكر العربي، القاهرة.

ومع أنَّ كل هذه الاحتمالات ممكنة، لكن الحقائق التاريخية، والوقائع على الأرض، تؤكد أنَّ إفساد بني إسرائيل قد تمَّ وانتهى، وأنَّ قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ {الإسراء: ٥}، يشير إلى هذا المعنى، فظاهر السياق أنَّ المخاطب هنا هو محمد (ﷺ)، وهو أسلوب الْتفاتٍ من الكلام عن الغائب وهم بنو إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ {الإسراء: ٤}، إلى التعقيب على هذا الحدث بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ {الإسراء: ٥}، أيْ أنَّ هذا الوعد قد تمَّ وانتهى يا محمد.

إنَّ الملاحظ أنَّ الأفعال المستخدمة في الحديث عن الوعد الأوَّل جاءت بصيغة الماضي، مثل (بعثنا)، و(جاسوا)، وأنَّ الأفعال المستخدمة في الوعد الآخر(الثاني) جاءت بصيغة المضارع والمستقبل مثل: (ليسوءوا)، و(ليدخلوا)، و(ليتبروا)، مما يجعلنا نفهم حدوث الوعد الأول وانتهاءَه قبل البعثة النبوية.

الوقفة التاسعة

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾

انتهى الإفساد الأوَّل لبني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين، وزال على يد البابليين بقيادة المَلِك (نبوخذ نصَّر) الذي قتل وسَبَى الآلاف من بني إسرائيل إلى "بابل" بالعراق، وحرَّق وخرَّب وجاس خلال ديار اليهود في الأرض المُقدسة، فسقطت دولتهم في الجنوب سقوطَها الأخير في سنة ٥٨٦ ق. م.

وتمضي القرون بعد القرون من الشتات وسَوْم العذاب، حيث تفرَّقوا أشتاتًا، وسكنوا بلادًا مختلفة، وتحدثوا بلُغاتٍ شتى بلغت ٧٠ سبعين لغةً من لغات العالَم، إلى أنْ جاء وعد إفسادهم الثاني والأخير في الأرض المباركة فلسطين، فرَدَّ الله لهم الكرَّة على مَنْ أزال إفسادهم الأوَّل، وأمدّهم بالأموال والبنين، وجعلهم أكثر نفيرًا.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾:

والخطاب في الآية من الله تعالى مُوَجَّهٌ لبني إسرائيل يُخبرهم فيه أنّه قد ردَّ لهم الكَرَّة في وعد الآخرة على ذرية

البابليين وهم العرب، (أيْ على هؤلاء الذي جاسوا خلال الديار، لا على أشخاصهم وإنَّما على ذريّتهم) [1].

ويمكننا الوقوف عند عدة إشارات في هذه الآية الكريمة، منها:

الإشارة الأولى: الحرف ﴿ ثُمَّ ﴾: حرف عطف يفيد التراخي، وهو هنا يدلّ على التراخي في الزمن، أيْ أنَّ ردَّ الكرَّة لبني إسرائيل سيكون بعد فترة متراخية، لا يعلم وقتها ومدَّتَها إلا الله تعالى.

الإشارة الثانية: قول الله تعالى: ﴿ رَدَدْنَا لَكُمُ ﴾ أيْ سيكون الأمر لصالحكم، وسيرُدُّ الله لكم ما كنتم عليه من القوة والسيطرة على الأرض المباركة فلسطين.

الإشارة الثالثة: ﴿ٱلْكَرَّةَ﴾: فيها تكرار ورجوع إلى نفس المكان، أي الرجوع إلى الأرض المباركة فلسطين، (والكرَّة يُعبَّر بها عن الدولة كما يقول علماء اللغة، والتاريخ يشهد أنَّه لم تكن لليهود

---

[1] عباس، فضل، (المنهاج، نفحات من الإسراء والمعراج)، ص١٢٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

دولةٌ في تاريخ المسلمين، والواقع يقول: إنَّ هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه) [1].

الإشارة الرابعة: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: فيها عُلُوٌّ وغَلَبة وظهور، والضمير في (عليهم) يعود على من أزال إفساد بني إسرائيل الأوَّل، وهم البابليون.

فمَـــنْ هـــم البابليُّـــون؟

البابليُّون هم الكِلدانيون الذين ورثوا دولة " أشور" في العراق، وهم قبائل عربية جاءت من الجزيرة العربية، وسيطرت على منطقة العراق، فهم عربٌ من أصول عربية، وهم أجداد أهل العراق والشام الحاليُّون.

يقول الدكتور مروان عقراوي: (تاريخيًّا: الأشوريون والكِلدانيون كانوا دولتين أو نظامين سياسيين لبلد واحد، ولغة واحدة، وحضارة واحدة، في حقبتين متتابعتين زمنيًّا، وللتوضيح: إنَّ مَن يقول بأنّ قوميته أشورية أو كِلدانية كمَن يقول: إنّ قوميته أموية أو عباسية، حيث كما هو ثابت أنَّ الدولة الأموية والدولة

---

[1] عباس، فضل، (المنهاج، نفحات من الإسراء والمعراج)، ص١٢٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م

العباسية كانتا دولتين عربيتين في فترة الحضارة العربية الإسلامية، فليس للأموية أو العباسية لغة خاصة أو حضارة خاصة) [1].

ويقول أيضًا: (إنَّ سكان شمال العراق في الفترة الأشورية وما سبقها ينحدرون من هجرات العرب العَمُوريين الذين هاجروا من عرب الجزيرة العربية شمالاً باتجاه العراق والشام، أما الكِلدانيون فينطبق عليهم ما ينطبق على الأشوريين، فهم ينحدرون من هجرات من الجزيرة العربية التي استقرَّت في وسط العراق وجنوبه، وهجرتهم تزامنت مع هجرة الآراميين، أو أنَّهم من الآراميين، وقد استطاع زعيم عائلة (كالدو) أنْ يسيطر على النظام السياسي، وهو ما نُطلِق عليه في زماننا الدولة البابلية الجديدة).

(وينحدر من بيت (كالدو) المَلك البابلي الشهير (نبوخذ نصرً)، و(كِلدان): جمعٌ لكلمة (كالدو) أو (كلدي)، وهو اسم عائلة (نبوخذ نصرً)، فالكِلدان هم أقوام خرجت من شبه الجزيرة العربية، وقد اندفعوا من هذه المنطقة، ودخلوا العراق خلال

---

[1] عقراوي، مروان، مقال بعنوان: (مَن هم الأشوريون والكِلدان؟ وهل هم قوميات؟)، شبكة النّصرة، منبر العراق الحر، ٢٠١٤/١٢/٢٧م.

الألف الأوَّل قبل الميلاد، متّخذين طريق ساحل البحر العربي، ثم الخليج العربي الذي أصبح مقترنًا باسمهم فسُمّي بالبحر الكِلدي) [١]

(ويرى الدكتور أحمد سوسة أنَّ موطن الكِلدان الأصلي هو شواطئ الخليج العربي جنوب العراق، وينقل الباحث جواد علي عن (سترابو) أنّ مدينة (الجَرْها) التي تقع في القطيف في ساحل الخليج العربي في السعودية هي موطن الكِلدان الأصلي) [٢].

يقول الأستاذ بسَّام جرَّار: (وأُحِبُّ أنْ يعلم القارئ أنَّ الأشوريين والكِلدانيين هم قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية إلى منطقة الفُرات، ثم انساحت في البلاد، حتى سيطروا على ما يُسمَّى اليوم العراق وسوريا الطبيعية، وقد أسلم معظم هؤلاء، وأصبحوا من العرب المسلمين) [٣].

وأخلُص ممّا سبق إلى نتيجتين:

---

[١] عقراوي، مروان، مقال بعنوان: من هم الأشوريون والكلدان؟ وهل هم قوميات، شبكة النصرة منبر العراق الحر، ٢٠١٤/١٢/٢٧م.

[٢] الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، مَن هم البابليون والأشوريون والكلدانيون؟

[٣] جرار، بسام، (زوال إسرائيل ٢٠٢٢، نبوءة أم صدف رقمية)، ص١٤، ط ٣، ٢٠٠٢م.

أولاً: إنَّ الله تعالى قد ردَّ الكرَّة لبني إسرائيل في إفسادهم الثاني والأخير: (وعد الآخرة) على مَن أزال مُلكَهم وإفسادهم الأوَّل، فعادوا إلى نفس المكان الذي قُتلوا فيه، وسُبُوا منه.

ثانياً: إنَّ المُراد بقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ هم العرب، والذين يُعرَفون اليوم بأسماء بلادهم ودولهم، فنقول: (الفلسطينيون، والأردنيون، والسوريون، واللبنانيون، والعراقيون، والمصريون، والخليجيون، واليمنيون، والمغاربة ...)، وقد كانوا في مراحل من التاريخ يُعرف بعضهم بالبابليين، أو الأشوريين، أو الكلدانيين، أو الآراميين.

وممّا يُقوِّي هذا القول، الحقائق الثلاث التالية:

١. الحقيقة الأولى:

إنَّنا لا نجد في التاريخ أنَّ الله تعالى قد ردَّ الكرَّة لبني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين على أحدٍ غير العرب، وقد رأينا هذه الكرَّة بأنفسنا في سنة ١٩٤٨م، حيثُ أعلن اليهود دولتهم في فلسطين من جديد، وهي المَرَّة (الثانية)، أو(الإفساد الثاني والأخير) لهم في فلسطين، بل إنَّنا قد رأينا مظاهر هذه الكرَّة لبني إسرائيل بوضوح على العرب تحديداً عندما شارك في

حرب فلسطين ١٩٤٨م سبعة جيوش عربية، لكنهم انهزموا أمام كرَّة هؤلاء المُفسدين اليهود، وهاجر مئات آلاف العرب من أهل الأرض المباركة فلسطين إلى مناطقَ مختلفةٍ من العالم العربي وغيره.

٢. الحقيقة الثانية:

منذ نزول سورة الإسراء على قلب محمد (ﷺ)، فإنّنا لم نَرَ أنَّ الكَرَّة قد رُدَّت لبني إسرائيل على العرب في فلسطين إلا في سنة ١٩٤٨م.

٣. الحقيقة الثالثة:

إنْ لمْ يكن الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ يعود على العرب، فعَلَى مَن يعود؟ وماذا نسمّي هذا الإفساد الذي نراه الآن لليهود في فلسطين؟!

وإنْ لم تكن حروب اليهود على العرب هي الكرَّةَ المردودةَ لهم عليهم، فماذا يمكن أنْ تكون؟!

وإنْ لم تكن هذه هي المرَّةَ الثانيةَ للإفساد اليهودي في فلسطين بعد سيطرتهم عليها واحتلالها، فماذا تكون؟!

لكنَّنا نجدُ اضطراباً واضحاً عند بعض المُفسرين في تحديد الإفساد الثاني (الآخِر) لبني إسرائيل في الأرض المباركة،

وخاصَّة عند المفسرين القدامى الذين يقولون بوقوع الإفسادين الأوَّل والثاني، وهم في نظري معذورون، فهُم لم يَرَوْا هذا الإفساد اليهودي الذي نراه الآن، وفي نفس الوقت هم لم يكونوا لِيتصوَّروا أنْ يكون لليهود في يوم عُلوٌّ في الأرض المباركة فلسطين، خاصَّة وأنَّ اليهود كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين، وكانوا أهلَ ذمَّة يُعْطُون الجزية للدولة الإسلامية عن يدٍ وهم صاغرون، وكانت فلسطين يومئذ جزءاً من الدولة الإسلامية القويَّة.

ومن الأمثلة على هذا الاضطراب:

١. رأى بعض المفسرين أنَّ الإفساد الثاني (الآخِر) لبني إسرائيل قد وقع في زمن النبي (ﷺ) في المدينة المنورة، وقد ناقشت هذا القول عند الحديث عن مدلول قوله تعالى: (عباداً لنا)، حيث لم تكن المدينة في يومٍ ساحةً لإفساد بني إسرائيل وعُلُوِّهم، وأنَّ زوال الإفسادين لا بد أنْ يكون فيه دخولٌ لبيت المقدس (المسجد) كما في الآية: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}،

وهذا ما لم يحدث في المدينة المنورة، لا قبل النبي (ﷺ)، ولا في حياته، ولا بعده.

٢. ومن المُفسرين من اعتبر أنَّ الإفساد الثاني لبني إسرائيل قد وقع في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ناقشت هذا القول أيضًا عند الحديث عن مدلول قوله تعالى: (عبادًا لنا)، حيث إنَّ عمر رضي الله عنه دخل بيت المقدس سِلْمًا، ولم يكن منه جوسٌ خلال الديار، ولم يقتل أحدًا، ولم يسْبِ أحدًا، بل تسلَّم مفاتيح بيت المقدس بطريقة سلمية من حاكمها (صفرونيونس) النصراني، وأعطى أهل إيلياء (بيت المقدس) ما يُعرف بالعُهدة العُمَرِيَّة.

ولا يمكن اعتبار دخول عمر رضي الله عنه لبيت المقدس إزالةً للإفساد اليهود الثاني (الآخر)، فلم يكن في زمن عمر رضي الله عنه كيانٌ، أو وجودٌ سياسي، أو إفسادٌ وعلوٌّ كبير لبني إسرائيل في فلسطين.

٣. اعتبر بعض المُفسرين أنَّ الإفساد الأوَّل لبني إسرائيل كان بقتلهم زكريا عليه السلام، فأرسل الله عليهم جالوت، وهذا أمرٌ غير صحيح، ويتعارض مع الحقائق التاريخية المعروفة، فالذي

قتل جالوت هو داوود عليه السلام في زمن طالوت: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ {البقرة: ٢٥١}، والمعروف بداهةً أنَّ زكريا عليه السلام من نسل داوود عليه السلام، وجاء بعده بألف سنة تقريبًا.

يقول ابن عجيبة الحَسني: (وقول الجلال السيوطي: وقد أفسدوا في الأولى بقتل زكريا فبُعث عليهم جالوت وجنوده، لا يصحُّ، لأنه يقتضي أنَّ داوود تأخّر عن زكريا، وهو باطل) [١].

إنَّ زكريا عليه السلام هو والد يحيى عليه السلام، ويحيى وعيسى عليهما السلام هما أبناء الخالة، وعيسى بن مريم هو آخر أنبياء بني إسرائيل، فيكون زكريا عليه السلام من آخر أنبياء بني إسرائيل، فلا يُعقَل أنْ يكون أسْبَقَ من داوود عليه السلام، وداوود أقرب إلى موسى عليه السلام، بدليل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ

---

[١] ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المجلد الرابع، ص٨٠، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

ﭐللَّهِ﴾ {البقرة: ٢٤٦}، وفي ذلك الوقت كان داوود عليه السلام شاباً مقاتلاً تحت راية طالوت، وآتاه الله المُلك والنبوة بعد المعركة، فهو قريب من زمن موسى عليه السلام.

٤. وبعض المُفسرين يقولون: إنّ بني إسرائيل أفسدوا في أوّل مرّة، فبعث الله عليهم (تيتوس) الروماني سنة ٧٠م، ثمَّ أفسدوا في الثانية، فبعث الله عليهم (هادريان) الروماني سنة ١٣٥م، وهذا يعني أنَّ الله تعالى قد بعث على بني إسرائيل الرومان مرتَّين، لكنَّنا لا نجد بين هاتين المرّتين أنَّ الله تعالى قد ردّ الكَرَّة لليهود على الرومان كما تبيّن لنا الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ {الإسراء:٦ }، ما يجعل هذا القول واهياً لا رصيد له تاريخياً أو قرآنياً، إنّما كان ذلك في إطار سُنَّة الله الماضية في المُفسدين أنْ يعاقبهم لعلهم يرجعون، ولو بأنْ يُولِي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون.

ومهما يكنْ من أمر، فإنَّ ما نراه اليوم بأعيننا من إفسادٍ وعُلُوٍّ لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين)، يجعلنا نُرجِّح بقوة أنَّه هو وعد الآخرة الذي حدثتنا عنه سورة الإسراء.

الوقفةُ العاشرةُ

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾

مع ردِّ الله تعالى الكرةً لبني إسرائيل على العرب الذين أزالوا إفسادهم الأول سنة ٥٨٦ ق. م، فإنَّه سبحانه وتعالى قد أمدَّهم لتحقيق ذلك بالأموال والبنين، وجعلهم أكثر نفيراً، فتمكّنوا من بناء دولتهم الثانية، والتي يكون لهم فيها إفسادٌ وعلوٌّ كبيران يكونان سبباً في سقوطها وتتبيرها في وعد الآخرة.

والمُراد بالأموال: كلُّ ما يُطلق عليه هذه الكلمة، مثل:

١. المال نقداً.

٢. المشاريع الاقتصادية.

٣. الإمدادات العسكرية.

٤. المصانع والمعدات والآلات.

٥. المواد الخام من المعادن والمزروعات

٦. وكل ما يُعتمد عليه في بناء الدولة.

وقد بدأ الإمداد بالأموال قبل إعلان اليهود دولتهم على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م، واستمرَّ بوتيرة متفاوتة من قِبَلِ الغرب والشرق حتى يومنا هذا، بمقدار ما يحقِّقون من ضربات استباقية،

تُطمئِن العالَمَ الصَّليبيَّ الكافر، والعربيَّ المنافق، أنَّ نهضة الأمة الإسلامية من جديد لا زالت متعثّرة.

والمُراد بالبنين: الأبناء الذكور اليافعون الذين يُعتمد عليهم في بناء الجيوش التي تمارس الإفساد العسكري في الأرض المباركة (فلسطين)، فترتكب المجازر، والعدوان، والقتل، والسجن، والترحيل ضد الآمنين.

وقد جمعْتُ فيما يلي بعض الأمثلة على الإمداد بالأموال والبنين لليهود في فلسطين قبل إعلان دولتهم المفسدة في فلسطين ١٩٤٨م، وبعده:

أولاً: الإمداد بالأموال:

قامت في العالم الكثير من المنظمات والمؤسسات التي تعمل على دعم اليهود ماليًا لبناء وطن قومي لهم في فلسطين، يعلنون فيه دولتهم ويمارسون فيه إفسادهم الثاني والأخير، ومن هذه المنظمات والمؤسسات:

١. منظمة الصندوق القومي اليهودي:

تأسست عام ١٩٠١م، وقد أنشئت في الأساس كصندوق يهودي لشراء الأراضي في فلسطين، وبعد عام ١٩٤٨م، أصبح

هدفها هو شراء الأراضي والغابات والحقول في أيِّ منطقة تهُم حكومة (إسرائيل)، أو استئجارها، أو مبادلتها، ويستخدم الصندوق شعار **(ازرعْ شجرةً في أرض الميعاد)** وتكون هذه الشجرة مقابلاً رمزيًا للتبرعات. (١)

٢. اللجنة اليهودية الأمريكية للتوزيع المشترك:

تأسست عام ١٩١٤م في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى من أجل إعادة منكوبي الحرب من اليهود، ثم انتقلت إلى شعار **(مساعدة المحتاجين اليهود)**، ولهذا فهي تقوم بتنظيم برامج الإغاثة والعون وتمويلها، وإعادة التأهيل لجميع اليهود المعرَّضين للخطر، أو الحاجة في أنحاء العالم، وتمدّ الحكومة الأمريكية هذه المنظمة أيضاً بالدعم المستمر. (٢)

٣. صندوق وقفية (إسرائيل):

---

(١) مصطفى، عبد العزيز، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص٢٣٣، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

(٢) المرجع نفسه.

٤. تأسس عام ١٩٢٢م، وقد أُنشئ أوّلاً كمؤسسة خيرية لتمويل الجماعات اليهودية في فلسطين، وبعد إنشاء الدولة اليهودية تحوَّل إلى تمويل المؤسسات الإسرائيلية المدنية والتربوية. (١)

٥. منظمة النِّداء اليهوديّ المتَّحد:

تأسست عام ١٩٢٥م، وكان اسمها قبل عام ١٩٤٨م: **(نداء فلسطين المتَحد)،** وتهدف هذه المنظمة من خلال الأموال التي تتسلمها إلى المساعدة في إعادة استيطان المهاجرين في (إسرائيل)، وتتلقى هذه المنظمة دعماً مباشراً من حكومة الولايات المتّحدة الأمريكية. (٢)

٦. الشركة الإسرائيلية الأمريكية:

تأسست عام ١٩٤٢م، وهي شركة استثمارية تقوم بالعمل على تمويل المشاريع الصناعية، والتجارية، والزراعية في (إسرائيل)، فهي تسعى للاستثمار المباشر في (إسرائيل). (٣)

---

(١) مصطفى، عبد العزيز، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص٢٣٣، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) عبد العزيز، مصطفى، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص٢٣٤، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

وتوجد إلى جانب هذه المنظمات السابقة العشرات من الجماعات والمنظمات التي أنشئت بغرض الدعاية والجباية لمؤسسات وجهات داخل (إسرائيل). [١]

لكنَّ الدعم الأمريكي لليهود بالمال أكبر من كل هذه المنظمات والجمعيات، فقد كتب هشام القروي في موقع (الحوار المتمدًن) العدد ١١٧١ بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٨م ما يلي: (كشفت صحيفة: "كريتسان سانيس منيتور الأمريكية" بأنّ إسرائيل كلًفت الولايات المتحدة الأمريكية ماليًا منذ العام ١٩٧٣م 1,6 ترليون دولار)، فكيف لو تم إحصاء هذه التكاليف منذ ١٩٤٨ وحتى الآن في سنة ٢٠٢١م.

ويمكنني القول:

إنّ هذا الدعم الدولي لليهود يأتي في سياق قوله تعالى: ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ ﴾ {الإسراء: ٦} وأنّ هذا الإمداد بالأموال مرتبط بالإفساد الثاني لليهود في فلسطين، فلم يحدث لهم هذا الإمداد منذ زوال إفسادهم الأول، وهو ما يجعلني على يقين من أنّ هذا الكيان

---

(١) عبد العزيز، مصطفى، (قبل الكارثة نذير ونفير)، ص٢٣٤، مؤسسة صلاح السليم، الرياض.

الإسرائيلي القائم الآن في فلسطين هو الإفساد الثاني (وعد الآخرة) لبني إسرائيل في الأرض.

ثانياً: الإمداد بالبنين:

كما هو معلوم فإنّ المقصود بـالبنين هـم الأبنـاء الـذكور اليافعون، وليس مجرد النسل أو الذرية، فالذكور اليافعون هم الـذين يقدرون على القتال والمشاركة في الحروب، وحمل الأعباء الثِّقـال، لذا فإننا نجد هذا واضحاً في الهجرة اليهودية إلـى فلسـطين عـام ١٩٤٨م وبعدها.

وبالرغم من أنّ بريطانيا قد سهَّلت هجرة اليهود إلى فلسطين من كلِّ أنحاء العالم، لكننا نجد أنّ اليهود كانوا يهتمون بنوعٍ خـاصٍّ من الهجرة، وهي هجرة الشباب وخاصة الذكور، فقد بدأت الحركـة الصهيونية في هذه المرحلة بتنظيم هجرة من نوع خـاص، عُرفـت باسم (هجرة الشباب)، وذلك بجمع الأطفال اليهود من أوروبا، ونقلهم إلى فلسطين، وأنشئت في الوكالة اليهودية دائرة خاصـة بالشـباب، وتمكنت الحركة الصهيونية من نقل ٣٠ ألف طفل يهـودي أغلـبهم ذكور من أوروبا إلى فلسطين من عام ١٩٣٣م إلى عـام ١٩٤٨م، ونقلت ٤٠ ألف يهودي من روسيا ورومانيا، وكانوا مـن الشـباب

المُفْلِسين المغامرين الذين جنَّدتهم الصهيونية والأجهزة الاستعمارية للهجرة إلى فلسطين.[١]

ويشير د. يوسف كامل إبراهيم إلى أنّ اهتمام اليهود بفئة الشباب كان واضحًا، فيقول: (وفي الفترة بين ١٩٤٢-١٩٤٦م ارتفعت بين السكان نسبة البالغين من العمر سن ١٥: ٤٥ سنة من الذكور والإناث، فوصلت عند المواطنين العرب إلى ٥٦,٧% من مجموع العرب، وعند اليهود إلى حوالي ٦٠% من مجموع اليهود المهاجرين إلى فلسطين). [٢]

وقد لاحظت أنّ إمداد بني إسرائيل بالبنين مرتبط بحدوث الإفساد الثاني لهم، فلم يحدث هذا في تاريخ اليهود مطلقًا منذ زوال إفسادهم الأول في سنة ٥٨٦ ق. م، ما يجعلنا واثقين من أنَّ الوجود الإسرائيلي القائم الآن في فلسطين، والمسمَّى (إسرائيل)، هو الإفساد الثاني لليهود، والمعروف بوعد الآخرة.

---

(١) علي،غادة، (الهجرة اليهودية إلى فلسطين)، شبكة فلسطين للحوار، ٢٠١١/١/١٨م.

(٢) إبراهيم، يوسف إبراهيم، (التحول الديمغرافي القسري في فلسطين)، وكالة وفا للأنباء والمعلومات الفلسطينية، ٢٠١١م

الوقفةُ الحاديةَ عشرةَ

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

لا يزال الخطاب من الله تعالى موجهاً إلى بني إسرائيل بأنه سيَرُد لهم الكرَّة على العرب الذين أزالوا ملكهم ودولتهم في الإفساد الأول، وسيمدُّهم بالأموال والبنين، وسيجعلهم أكثر نفيراً.

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ {الإسراء: ٦}:

أيْ وجعلنا لكم الكثرة في جيشكم وجنودكم الذين يخوضون المعارك، ويَنفِرُون في الحرب.

والله تعالى لم يقل (وجعلناكم أكثر عدداً)، فالعرب في العدد أكثر، ولكنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ {الإسراء: ٦}، أي أكثر إعداداً وضجيجاً في الحروب والمعارك، كما حدث في حروبهم مع العرب منذ ١٩٤٨م.

وقد لاحظنا هذا الأمر بأنفسنا، حيثُ كان المقاتلون اليهود في حروبهم دائماً أكثر من المقاتلين العرب، رغم كثرة أعداد العرب، (ففي حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م كان عدد الجيوش العربية السبعة

٢١٥٠٠ جندي، أي ما يعادل ثلث عدد الجيش الإسرائيلي البالغ ٦٨١٠٠ جندي) [١].

ومن دلالات قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾:

١. **﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾:** أيْ أكثر أنصاراً ومؤيدين، كما رأينا عبر عقود كيف أنّ مجلس الأمن الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة، يَكِيلون بمكيالين لصالح اليهود، مناصرين ومؤيدين لهم على العرب الفلسطينيين أصحاب الحق المظلومين.

وفي هذا يقول الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه: (أكثر نفيراً): وجعلناكم أكثر نُصَّاراً، أيْ جعلنا نصراءكم أكثر. [٢]

٢. **﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾:** أيْ أكثر إعلانًا للحرب بما لديكم من أدوات الحرب المختلفة، كالجنود، والأموال، والأسلحة المتطورة، والإعلام الدولي، والمساندة السياسية.

---

(١) السنوار، زكريا إبراهيم، (ميزان القوى في حرب عام ١٩٤٨م)، ورقة عمل إلى اليوم الدراسي بعنوان: النكبة: مأساة أرض وعودة شعب، ٢٠١٠م.

(٢) الزجاج، أبو إسحق إبراهيم، (معاني القرآن وإعرابه)، المجلد الثالث، ص١٨٦، دار الحديث– القاهرة،٢٠٠٣م.

ومنذ قيام الإفساد الثاني لليهود في سنة ١٩٤٨م، رأينا العديد من الحروب التي خاضتها (إسرائيل) ضد العرب، وفي كلِّ المرّات كانت (إسرائيل) هي المُعتدية والأكثر نفيراً.

ومن أشهر هذه الحروب:

١. حرب فلسطين ١٩٤٨م (النكبة)، حيثُ سيطرت (إسرائيل) على ٧٨% من أرض فلسطين، وهجّرت مئات الآلاف من الفلسطينيين من أرضهم.

٢. العدوان الثلاثي على مصر وغزة ١٩٥٦م، حيثُ احتلت (إسرائيل) شبه جزيرة سيناء، وقطاع غزة لمدة ستة أشهر، وارتكبت مجازر كثيرة في تلك الفترة القصيرة.

٣. حرب حزيران ١٩٦٧م، حيثُ شنَّت (إسرائيل) حرباً على مصر وسوريا والأردن، وكان من نتائج هذه الحرب:

أ. احتلال (إسرائيل) لشبه جزيرة سيناء المصرية، وقطاع غزة الذي كان تحت الإدارة المصرية، في ستة أيام، أو قُلْ: في ست ساعات بتعبير أدقّ.

ب. احتلال هضبة الجولان السورية، وهي منطقة عسكرية إستراتيجية مُطلَّة على فلسطين من الشمال الشرقي.

ج. احتلال الضفة الغربية التي كانت تحت الإدارة الأردنية، بالإضافة إلى منطقة وادي عربة، وهي منطقة أكبر من قطاع غزة في المساحة.

٤. حرب أكتوبر ١٩٧٣م، والتي تَمَّ فيها انسحاب (إسرائيل) من قناة السويس المصرية، فكأنَّها حرب تحريك لا تحرير، هدفها إعادة الملاحة في قناة السويس، فضلًا عن التهيئة لاتفاقية كامب ديفيد التي أَخْرجَتْ مصر من جبهة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي.

٥. اجتياح جنوب لبنان ١٩٧٨م، بهدف ضرب المقاومة الفلسطينية.

٦. اجتياح لبنان، والوصول إلى بيروت عام ١٩٨٢م، وإخراج المقاومة الفلسطينية في لبنان إلى تونس وبلدان عربية، وارتكاب مجازر "صبرا وشاتيلا".

٧. حرب تمُّوز ضد المقاومة اللبنانية عام ٢٠٠٦م، وقد امتدَّت (٣٣) يومًا، وتوقَّفت بعد مجزرة في الدبابات الإسرائيلية.

٨. حرب الفرقان ضد غزة في ٢٧ ديسمبر عام ٢٠٠٨م، واستمرت حتى ١٨يناير ٢٠٠٩م.

٩. حرب حجارة السِّجِّيل ضد غزة عام ٢٠١٢م، وكانت سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، ضَربتْ فيها المقاومة الفلسطينية قلب الكيان الإسرائيلي في وسط تل الربيع (تل أبيب).

١٠.حرب العصف المأكول ضد غزة عام ٢٠١٤م، والتي كانت بمباركة الأنظمة العربية وخذلانها، وامتدَّت إلى٥١ يوماً، وتمكَّنت المقاومة الفلسطينية فيها من خطف عدَدٍ من جنود الاحتلال، وضَربتْ حيفا بالصواريخ.

مع ما تخلّل الانتفاضة الأولى والثانية من العدوان على الشعب الفلسطيني، وكذلك المجازر المختلفة التي ارتكبها اليهود –ولا يزالون –ضدَّ الفلسطينيين داخل فلسطين وخارجها.

٣. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾: أيْ أكثر نفيراً من المرة الأولى في الإفساد الأول، فأنتم في المرة الأولى لم تكونوا تمتلكون من النفير وأدواته ما تمتلكون في إفسادكم الثاني.

٤. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾: أيْ أكثر نفيراً من العرب، فالعرب في الغالب لا ينفرون ضدَّكم، بل يسالمونكم، ويطبِّعون معكم، ويعترفون بدولتكم، ويصمتون عن إفسادكم، ويحاربون من يقاومكم، ويلاحقون من يرفع شعار المقاومة ضدكم.

٥. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾: أيْ أكثر استنفاراً للدول الكبرى، لتقف معكم، وتساندكم بالمال والسلاح، وتسهِّل هجرة اليهود إلى فلسطين، كما تفعل أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وروسيا، وألمانيا، وكثير مـــن دول أوروبا.

٦. ﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾: إشارة واضحة إلى وقوع الإفساد الثاني لليهود في فلسطين حقيقة وواقعاً، فما نراه الآن من قوة النفير اليهــودي في فلسطين هو ما تؤكده هذه الآية: ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾ {الإسراء: ٦}.

الوقفةُ الثانيةَ عشرةَ

﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾

هذه قاعدة عامة وسنة ماضية، وهي دعوة من الله تعالى لبني إسرائيل إلى الإحسان، والابتعاد عما يُغضب الله، وعما يعرضهم للهلاك، فالإحسان لكم إنْ أحسنتم، والإساءة لكم إنْ أسأتم، وأنتم من يجنون الثمار في الحالتين.

وهذه القاعدة الربانية يقضي بها الله تعالى إلى بني إسرائيل في نفس الوقت الذي يبلغهم فيه بأنه سيكون منهم إفسادان في الأرض المباركة فلسطين.

﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ ﴾: أيْ إنْ فعلتم الحسنات، والْتَزمْتم بشرع الله تعالى، وأوامره وراقبتم ربكم في أموالكم وأفعالكم.

﴿ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾: أيْ إنْ فعلتم السيئات، وتنكَّبتم طريق الهداية والصلاح، وعصيتم ربَّكم، وتعدَّيتم حدوده.

وفي الآية دعوة من الله تعالى لبني إسرائيل بالتوبة والإنابة والرجوع إلى ربهم بعد إفسادهم الأول وزوال مُلكهم، وقتل الآلاف منهم، وسبْي أمثالهم، فالله تعالى يعطيهم الفرصة قبل أنْ يتورَّطوا في

الإفساد الثاني، فيحق عليهم العذاب والعقاب، ويحدث لهم مثل ما حدث في ﴿ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ {الإسراء:٥} من القتل والتعذيب.

إنّها دعوة ترسم طريقًا واضحاً وسُنَّة إلهيّة في البشر: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ﴾ {الإسراء:٧}، وما أحوجَ الناسَ إليها! وما أحوج بني إسرائيل إليها!

- **فهل أخذ اليهود بدعوة ربهم ووصيته؟!**

- **هل استجابوا لله وهو يدعوهم للنّجاة؟ فيصنعوا مستقبلهم بأنفسهم؟!**

إنَّ واقع الحال يدلّ على أنّهم لم يتّعظوا بوصية الله لهم، ولم يُحسنوا، بل تورَّطوا بالإفساد مرّتين كما أوحى الله إليهم بعلمه.

ويمكن أنْ يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ﴾ {الإسراء: ٧}، موجَّهًا للمسلمين تعقيبًا على الحكاية عن بني إسرائيل، ووصية للمسلمين بأنْ لا يكونوا مثل هؤلاء الذين أفسدوا في المرة الأولى، فبعث الله عليهم مَن يُزيل مُلكهم، ويجوس خلال ديارهم، فخذوا العبرة يا أهل الإسلام: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ {الحشر: ٢}، فما كان الحديث

عن إفساد بني إسرائيل في القرآن الكريم إلا لتأخذوا العبرة، وتُحسنوا.

لكنّ الوجْه الأوَّل أكثرُ مناسبةً للسياق، لأنّه استمرارٌ في مخاطبة بني إسرائيل، فالله تعالى بعد أنْ أَعلَمَ بني إسرائيل بأنَّه سيرُدُّ لهم الكرَّة على مَنْ أزال إفسادهم الأوَّل، يقول لهم: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ {الإسراء: ٧}.

الوقفةُ الثالثةَ عشرةَ

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾

هذا هو الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل، ولم يقل الله تعالى: (فإذا جاء وعد الثانية) أو: (فإذا جاء وعد ثانيتهما)، بل قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾{الإسراء: ٧}، أيْ الثانية والأخيرة.

إنهما إفسادان لبني إسرائيل في الأرض المباركة، لا ثالثَ لهما: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾ {الإسراء: ٤}، وهذه هي المرّة الثانية والأخيرة لكم يا بني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين).

وقد سُبِق هذا الوعد بزوال إفسادكم أنْ ردَّ الله لكم الكرَّة على مَن أزال إفسادكم الأوّل، وأمدّكم بالأموال والبنين وجعلكم أكثر نفيرًا.

وها أنتم تَجْنُون ثمرة إفسادكم وعُلُوكمّ الكبير واستكباركم، فيبعث الله عليكم عبادًا له، كما بعث عليكم في المرّة الأولى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدًا مَّفۡعُولًا﴾ {الإسراء:٥}.

لقد جاء وعد الآخرة، وهو الوعد بزوال مُلكِكم، ونهاية إفسادكم وعلوِّكم الكبير، وتشريدكم من جديد، وتتبير كلِّ مظاهر إفسادكم في الأرض المباركة فلسطين.

سيبعث الله تعالى عليكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ بنفس الصفات والمواصفات التي كان عليها العباد الذين أزالوا مُلككم وإفسادكم الأوّل: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ {الإسراء:٥}، وسيُزيلون كيانكم الفاسد، ولن ينفعكم استكبارُكم وعلوُّكم، ولن تنفعكم أموالُكم ولا بنوكم، ولا كثرةُ نفيرِكم.

إنّهم موصوفون بكونهم: ﴿ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ {الإسراء: ٥}، سيُبعَثون عليكم من جديد بمهمّاتٍ وتكاليفَ محدَّدةٍ لهم من الله تعالى بدقة، وهي ثلاثة كما يلي:

أوّلاً: ﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ {الإسراء: 7}.

ثانياً: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ {الإسراء: 7}.

ثالثًا: ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء: 7}.

وسيكون زوالكم في المرّتين متماثلًا ومتشابهًا، فإساءة الوجه هي ذات الإساءة، والجَوس خلال الدِّيار هو ذات الجَوس، ودخول

المسجد (بيت المقدس) هو ذات الدخول، والقتل هو القتل، والتتبير هو التتبير، والإخراج هو الإخراج، والرحيل هو الرحيل.

ولا أشكُّ في أنَّ الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) هو هذا الإفساد الذي نراه بأعيننا الآن، وهو المتمثِّل في هذا الكيان الجاثم فوق الأرض المباركة، والمُسمَّى (إسرائيل)، والذي تمَّ الإعلان عنه في ١٩٤٨/٥/١٥م.

وإنَّ ممَّا يجعلني متيقِّنًا من أنَّ الكيان الإسرائيلي القائم الآن على أرض فلسطين هو الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل ما يلي:

١. هذا الإفساد الذي نراه قد سَبَقَه ردٌّ للكرَّة لبني إسرائيل على العرب، وهو ما صرَّحت به هذه الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ {الإسراء: 6}

٢. الإمداد الواضح لبني إسرائيل بالأموال والبنين، وهو ما جعلهم أكثر نفيرًا، كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ {الإسراء: ٦}.

٣. اليهود هم الأكثر نفيرًا من العرب، والأكثر نفيرًا واستنفارًا للعالم كلِّه لشنِّ الحروب منذ سنة ١٩٤٨م وما قبلها، فهم الذين يُشعلون

الحروب دائماً، وهو ما صرَّحت به الآية: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ {المائدة: ٦٤}.

٤. إساءة الوجوه التي يتعرض لها اليهود على يد أهل فلسطين، والمقاومة الفلسطينية يوماً بعد يوم، فقد انكشفت سوءاتُهم أمام الكثير من شعوب العالم، وعُرِف عنهم الوحشية، وظهرت عوراتُهم، ولم يعودوا هم الجيشَ الذي لا يُقهَر، كما كانوا يزعمون دائماً.

٥. إنَّ مجيء اليهود لفيفًا إلى فلسطين من كلّ مكانٍ يؤكد أنَّ هذا الإفساد الذي نراه هو الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ {الإسراء: ١٠٤}.

وممّا سيكون في وعد الآخرة بإذن الله تعالى:

١. دخول عباد الله أولي البأس الشديد لبيت المقدس، وتحريره من المفسدين، والجَوس خلال الديار، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ {الإسراء: ٧}

٢. تتبير الإفساد الإسرائيلي في فلسطين، وإهلاكه وزواله بإذن الله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ {الإسراء: ٧}

٣. خروج اليهود من فلسطين والرحيل عنها بإذن الله تعالى، وهو ما نفهمه من قول الله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ {الإسراء: ٨}، فرحمة الله تعالى لهم ستكون بأنْ يأذن الله لهم بالرحيل والهجرة والهروب بعد انهزامهم وزوال مُلكهم وانتهاء إفسادهم، لا بإبادتهم وإفنائهم.

ومن العلماء الذين يقولون بأنَّ الإفساد الحالي هو الإفساد الثاني والأخير لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين):

أ- الشيخ محمد متولي الشعراوي [١]. (راجع تفسير الشعراوي).

ب- الأستاذ بسام جرار [٢]. (راجع كتاب: زوال إسرائيل ٢٠٢٢م نبوءة أم صدف رقمية).

ت- الدكتور أحمد نوفل [٣]. (راجع موقع إسلاميات، تفسير سورة الإسراء، الآية ٧).

ث- الشيخ سعيد حوى [١]. (راجع كتاب الأساس في التفسير).

---

[١] الشعراوي، محمد متولي، (خواطري حول القرآن الكريم)، ص٨٣٦٨ ، دار الأخبار اليوم، القاهرة.

[٢] جرار، بسام، (زوال إسرائيل٢٠٢٢، نبوءة أم صدف رقمية)، ص٢١، ط ٣، ٢٠٠٢م.

[٣] نوفل، أحمد، (تفسير سورة الإسراء)، موقع إسلاميات،٢٠١٤/٨/١٥م.

ج- الشيخ عبد الله بن محمد الطوالة [٢].

ح- الدكتور يونس الأسطل، حيث يقول:

(وإنَّ من المُرَجَّح كذلك أنّنا اليوم على موعد مع تتبير العُلوِّ الكبير لبني إسرائيل في هذا الإفساد الثاني، حيثُ إنّ من أماراته أنْ يأتي الله بهم لفيفًا، ولا شكّ أنَّ الهجرة اليهودية إلى فلسطين ما كانت يومًا كما كانت في العقود الأخيرة ...) [٣].

ويقول أيضًا: (لكنّ الذي أودُّ الإشارة إليه أنّهم منذ تحطيم العلوّ الأول لم يقُمْ لهم كيان سياسي إلا في زماننا هذا ...).

إنَّ هذا الكيان اليهودي القائم في فلسطين الآن، لا يمكن أنْ يكون خارجًا عن السياق التاريخي الذي تتحدث عنه سورة الإسراء، ولا يمكن أنْ يكون خارج قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ {الإسراء:٤}، فهو إفساد بني إسرائيل الأخير

---

[١] حوى، سعيد، (الأساس في التفسير)، المجلد السادس، ص٣٠٤٤، دار السلام، القاهرة.

[٢] الطوالة، عبد الله محمد، (تأملات في سورة الإسراء)، ٢٠١٧/١٢/١٤م.

[٦] الأسطل، يونس، (فلسطين من منظور قرآني)، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر: فلسطين لن يطول ليل الغاصبين، في ذكرى النكبة الحادية والستين، ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/٥/٢١م.

بلا شكٍّ، بعيداً عن التأويلات المخالفة للواقع والتاريخ، فإنَّ خير التأويل ما كان حادثًا واقعًا تشاهده العين، وتدركه الحواس.

الوقفةُ الرابعةَ عشرةَ

﴿ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا ﴾

قول الله تعالى: ﴿ جِئۡنَا بِكُمۡ ﴾ يُوحي بأمرين:

الأوّل: إنكم يا بني إسرائيل قبل وعد الآخرة لم تكونوا في الأرض المباركة فلسطين، بل كنتم في الشتات أمماً مُقطّعين في الأرض من بعد زوال إفسادكم الأوّل، وهو ما حدث فعلاً، فقد بدأ تجمُّع اليهود في فلسطين منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن.

الثاني: ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ﴾: الفاعل في المجيء هو الله تعالى، فأنتم لم تجيئوا، بل جِيء بكم، وإنَّ هذا المجيء بكم إلى الأرض المباركة فلسطين هو من مشيئة الله تعالى، وحكمته، وعلمه، فما كان لكم أنْ تدخلوا فلسطين لولا مشيئة الله تعالى لتحقيق وعد الآخرة: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ {الروم: ٤}.

وقوله تعالى: ﴿ لَفِيفًا ﴾: له دلالاتٌ مختلفة، منها:

١. إنّ بني إسرائيل كانوا قبل وعد الآخرة متفرِّقين في أماكنَ مختلفةٍ، لا أرضَ تجمعهم، ولا كيانَ يضُمُّهم، كما قال عزّ

شأنه: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمًا﴾ {الأعراف: ١٦٨}، فجاء الله بهم ﴿لَفِيفًا﴾، أيْ تجميعًا بعد تباعدٍ وتفرُّق.

وقد جاء في المعجم الوسيط: (لفَّ الشجرُ لفًّا) أي الْتَفَّ واجْتَمَع، والْتَفَّ الشيءُ، أيْ تَجَمَّع وتكاثف، ونقول: التفَّ الشجر بالمكان، أيْ كثُر وتضايق، والْتفَّ عليه القوم: اجتمعوا عليه). [1]

إنَّ كلّ هذه التراكيب، والاستخدامات اللغوية، تُوحي بمعنى التجمُّع والتجميع لبني إسرائيل من أماكن شتى، وهذا فعلاً ما نراه في الواقع، فقد تجمَّع اليهود في فلسطين قبل سنة ١٩٤٨م وبعدها من كلِّ مكان، من الشرق، ومن الغرب، فنجد أنَّ يهودًا قَدِمُوا من الاتحاد السوفيتي، ومن أفريقيا، ومن أوربا، ومن البلاد العربية، ومن الأمريكيتين، ومن كلِّ جهات العالم.

٢. كلمة: ﴿لَفِيفًا﴾: فيها معنى الكثرة والخَلْط: جاء في المعجم الوسيط (لفَّ الرجلُ في الأكْل: إذا أكثر وخلَّط) [2].

---

[1] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج٢، ص٨٣٥، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، ١٩٩٠م.

[2] المرجع السابق.

وقد رأينا معنى الكثرة فعلاً خلال الهجرات اليهودية المتكررة إلى فلسطين، حتى وصل عددهم في سنة ١٩٤٨م إلى أربعة ملايين نسمة.

ومع هذه الكثرة، فقد كانوا مخلَّطين من أصولٍ مختلفة، وقد أحصى بعض العلماء قوميّاتِهم ولغاتِهم، فوجدوهم ينحدرون من سبعينَ قوميةً، ويتكلمون بتسعينَ لغةً [(١)].

٣. كلمة: ﴿لَفِيفًا﴾: توحي بالبُطْء والتثاقُل: وهو ما أشار إليه المعجم الوسيط: (لفَّ الرجل) إذا بطُؤ وتثاقل [(٢)].

وهذا ما حدث فعلاً في الهجرات اليهودية إلى فلسطين، فهي لم تكن مرةً واحدةً، أو دَفْعةً واحدة، بل كانت هذه الهجرات على دَفْعاتٍ كثيرة، وسنواتٍ عديدة، ولا تزال هذه الهجرات مستمرة، حتى يقضي الله قريبًا أمرًا كان مفعولًا.

٤. كلمة: ﴿لَفِيفًا﴾: فيها معنى الالْتواء: ففي المعجم الوسيط: (لفَّ: أيِ الْتوى عِرْقٌ في ساعده) [(١)].

---

(١) جرار، بسام، (زوال إسرائيل٢٠٢٢، نبوءة أم صدف رقمية)، ص ٢١، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٢) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج٢، ص٨٣٥، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، ١٩٩٠م.

إنَّ كلَّ مَنْ يتأمل الهجرات اليهودية إلى فلسطين يجد أنها كانت بطرق مُلتوية، وغير شرعية، فقد سيطروا على فلسطين بمساعدة الاحتلال البريطاني الذي كان يحتل فلسطين، وهم الذين وَعَدُوا اليهود بمنحهم فلسطين وطنًا قوميًا لهم.

وإنّ كلّ هذه المعاني والإشارات تجعلنا على يقينٍ راجح من أنّ الإفساد الذي نراه الآن لبني إسرائيل في فلسطين المباركة هو الإفساد الثاني والأخير الذي عبَّرت عنه الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ الإسراء: ١٠٤.

---

(١) المرجع السابق.

الوقفةُ الخامسةَ عشرةَ

﴿لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾

أوَّلُ الـــــزَّوال

إنَّ إساءة الوجه تعبيرٌ مجازيٌّ يُستخدَم للتعبير عن كشف السَّوءات، والافتضاح والحطِّ من القَدْر، ومثلُه ما جاء في الآية في وصف يوم القيامة: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ {الملك: ٢٧ }، وكما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ {آل عمران: ١٠٦}، فليس المُراد هو اللون الأبيض أو اللون الأسود، فإنَّ من المؤمنين مَن هم أصحاب بشْرةٍ سوداء، لكنّ المُراد – والله أعلم – أنَّ المؤمنين سيشعرون بالعزة، والكرامة، والشرف، والرفعة، وهم يأخذون كتبهم بأيمانهم، ويكونون مع فريق أهل الجنة، وأنَّ الكافرين سيشعرون بالخزي، والعار، والخِسَّة، والافتضاح، وهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، أو من وراء ظهورهم، فيكونون مع فريق السعير.

فليس الأمر يتعلق بالوجوه من الناحية الحسية المادية، ولكنَّ اليهود سيُفتَضَح أمرُهم، وتتكشف مخازيهم.

يقول الطاهر بن عاشور: (وتقدير الكلام: فإذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عباداً لنا، ليسوءُوا وجوهكم) [١].

﴿ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾:

إنَّه أوَّل السقوط للإفساد الإسرائيلي في الأرض المباركة، وأوَّل الزوال لهذا العلُوّ الإسرائيلي، والاستكبار اليهودي في فلسطين.

وهو تعبير فيه كِنايةٌ عن افتضاح أمركم وكشفكم، لتظهر حقيقتكم السيئة للناس في كل مكان، فتكون سمعتكم سيئة، ويكون اسمكم سيِّئًا، في مقدمةٍ لزوالكم، والقضاء على إفسادكم وفسادكم.

إنَّ أوَّل المهمَّات التي سيقوم بها عباد الله في وعد الآخرة هي إساءة وجوهكم ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ {الإسراء: ٧}.

(إنَّ إساءة الوجه لليهود تعني: هزيمتهم في المعركة وإزالة إفسادهم، والقضاء على علوِّهم وغطرستهم، وسَوْءُ وجوههم يبدو في مرارة الهزيمة، التي ينتج عنها ذُلّهم وهوانُهم وضعفُهم)[١].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، (تفسير التحرير والتنوير)، المجلد السابع، ص٣٦، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

وقد بدأتْ فعلاً عملية إساءة وجوه اليهود، بعد أنْ كانوا يستعطفون شعوب العالم، ليساندوهم ويعترفوا بهم، وأنهم بحاجة لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، فهُم بلا وطن، وبلا مكان يجمعهم على الأرض كما يدّعون.

ومن أقدار الله وحكمته أنَّ مرحلة إساءة وجوه اليهود قد جاءت في زمن تطوَّر فيه الإعلام بصورة كبيرة، وانتشرت فيه الفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة، بحيثُ لا يخفى أمرهم على كل سكان العالم، فلا يكاد حدث يحدث في فلسطين إلاّ ويطَّلع عليه جميع البشر فوراً.

ويمكنني الإشارة إلى بعض مظاهر إساءة وجوه اليهود اليوم على أيدي عباد الله من أهل فلسطين المباركة كما يلي:

١. في الوقت الذي استطاعت فيه (إسرائيل) احتلال فلسطين، وطرد مئات الآلاف من أهلها في سنة ١٩٤٨م، وفي الوقت الذي احتلَّت فيه (إسرائيل) شبه جزيرة سيناء، وهضبة الجولان، وغلبَت العرب في حروب عديدة، نجد أنَّ أطفال فلسطين وشبابها قد أساءوا وجوه اليهود في الانتفاضة الأُولى والثانية أمام العالم كلِّه،

---

(١) العفَّاني، سيد حسن، (تذكير النفس بحديث القدس واقدساه) الجزء الثالث، ص ٣٨٤، مكتبة معاذ بن جبل، ٢٠٠١م.

فقد كان الإعلام العالمي والمحايد ينقل إرهاب اليهود على الهواء مباشرة، وهو يقتل الأطفال، مثل الطفل (محمد الدُّرَّة) الذي مزَّقه رصاصُ جنود الاحتلال وهو يختبئ في حضن أبيه في أرض مكشوفة، ولا يرحم شيخًا أو امرأة، ولا يسْلَم من إرهابه وعدوانه شجر ولا حجر، وكان في نفس الوقت يتعرض للإهانة، وهو يعجز عن كسر إرادة هؤلاء الشباب المنتفضين رغم أنه يملك الطائرات الحربية، والدبابات العملاقة.

٢. المجازر العديدة التي ارتكبها اليهود ضدَّ الآمنين من الرجال والنساء والأطفال جعلت صورتهم قبيحةً أمام كلِّ البشر، وجعلت كثيرًا من الدول تُوجِّه إليهم اللوم والاستنكار والشجب والإدانة بشكل مستمر، وهذا لا شكَّ إساءةٌ للوجوه.

٣. هروب أفرادٍ ودوريات من الجيش الإسرائيلي من أمام المجاهدين (رجال المقاومة الفلسطينية) أمام الإعلام المباشر أساء وجوه اليهود بلا شكّ.

٤. انسحاب الاحتلال الإسرائيلي المُدجّج بالأسلحة المتطورة من قطاع غزة سنة ٢٠٠٥م أمام العالم كلِّه هربًا من ضربات

المقاومة، وهجمات المجاهدين كان من صور إساءة وجوههم في العالم.

٥. سقوط أسطورة (الجيش الذي لا يُقهر) التي كان يرددها اليهود في كلِّ المحافل، لكننا رأيناهم كيف يندحرون أمام المقاومين في العديد من المواقع في غزة، والضفة الغربية، وأرض فلسطين التي احتُلَّت سنة ١٩٤٨م.

٦. خطف رجال المقاومة للجنود الإسرائيليين من دباباتهم ومواقعهم وهم مُدَجَّجُون بالسلاح، ويغطيهم الطيران على مدى الليل والنهار، كان من أنصع صور الإساءة لوجوههم.

٧. نجاح العمليات الاستشهادية المختلفة في عمق الكيان الإسرائيلي المحتل، وكذلك العمليات النوعية في مستوطناتهم، أساءت وجوه اليهود فيما بينهم، وأمام العالم كلِّه.

٨. ضرب العمق الإسرائيلي بالصواريخ من قِبَل المجاهدين في غزة، أساء وجوههم أمام العالم كله، في مقدِّمة للزحف نحو القدس.

٩. صمود المقاومة الفلسطينية في غزة والضفة، رغم ضراوة الهجمات التي تشنُّها (إسرائيل) ضدَّها، وليس أدلّ على ذلك من

هذه الحروب الأربعة المتتالية التي صمدت فيها غزة وأهلُها ومقاومتُها، وأوقعت المقاومة فيها خسائر فادحة في صفوف الجنود اليهود وآلياته، وكان آخرها معركة **(سيف القدس)** في مايو ٢٠٢١.

١٠. يُستدل من استطلاع للرأي أُجري في بريطانيا حول نظرة البريطانيين إلى الدول والشعوب الأخرى: **(**أنَّ نسبة كبيرة من البريطانيين تعتبر إسرائيل أقبحَ دولةٍ في العالم وغيرَ ديمقراطية، وإحدى الدول الخطيرة، ويتَّضح من النتائج التي توصَّل إليه الاستطلاع الذي أُجري لصالح صحيفة **(**ديلي تلغراف**)** أنَّ **(**إسرائيل**)** احتلت المرتبة الأولى في باب **(أقبح دولة في العالم)،** وتحتل **(**إسرائيل**)** أيضاً المرتبة الأولى في أكثر الدول التي يفضّل البريطانيون عدم زيارتها، ويرفضون السكن فيها**)** [(١)].

إنّ إساءة المقاومة الفلسطينية لوجوه اليهود هي أوّل إرهاصات الزوال لدولتهم وإفسادهم، وهي بداية السقوط لعلوِّهم الكبير بإذن الله.

---

(١) الموقع الإلكتروني: (عرب ٤٨) بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٣١م).

وإنَّ ما نراه بأعيننا اليوم من إساءة لوجوه اليهود في العالم كله يجعلنا على يقينٍ من أننا على مقربةٍ وشيكةٍ من تحقيق قوله تعالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ {الإسراء: ٧}.

إنَّ عباد الله في وعد الآخرة الذي نراه، قد بعثهم الله تعالى، ليسوؤوا وجوه اليهود، ويفضحوا أمرهم وعدوانهم، ويكشفوا حقيقتهم وسوءاتهم، فيَظهروا للجميع بأنهم بيتٌ من زجاج سريع الكسر والانكسار، أو أنهم بيتٌ هشٌّ كبَيت العنكبوت: ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ {العنكبوت: ٤١}، في مقدمة لهزيمتهم قريبًا بإذن الله تعالى.

الوقفةُ السَّادسةَ عشرةَ

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

تَحريــرُ بَيـْــتِ المَقْــدِس

إنَّ المُهِمَّة الثانية للعباد الذين يبعثهم الله تعالى في وعد الآخرة، بعد إساءة وجوه بني إسرائيل، هي تحرير بيت المقدس من إفسادهم الثاني والأخير: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

ويمكنني هنا الوقوف عند أمرين:

أوّلاً: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾:

إنّ المُراد بالمسجد هنا هو (المسجد الأقصى) الذي كان الإسراء إليه، ومنه كان العروج إلى السموات، فهو (بيت المقدس) محل القداسة، ومركزية الطهارة، وهو الذي بارك الله فيه وحوله، فكانت فلسطين مِن حوله هي الأرض المباركة التي بارك الله فيها للعالمين: ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ {الأنبياء: ٧١}، وهي الأرض التي أفسد بنو إسرائيل فيها مرّتين، وعَلَوْا عُلُوًّا كبيراً.

وقد حظي بيتُ المقدس بهذه القداسة فأصبح بيتًا للقداسة والطهارة، وهو المسجد الأقصى الذي تتحدث عنه سورة الإسراء.

- يقول أبو الفرج بن الجوزي في زاد المسير: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾: يعني بيت المقدس [١].

-ويقول البغوي في معالم التنزيل: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾: أيْ بيت المقدس ونواحيه [٢].

-وكذلك قال الإمام أحمد ابن عجيبة الحسني [٣]، والسمرقندي [٤]، وأبو بكر الجزائري[٥]، والزحيلي [٦]، ... وغيرهم.

وإنّما يدخل هؤلاء الداخلون للمسجد الأقصى والمدينة المقدسة (بيت المقدس) دخولَ الفاتحين المُحررين، ليُعلنوا سقوط الإفساد الإسرائيلي في كلِّ الأرض المباركة (فلسطين) بإذن الله تعالى.

---

[١] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، (زاد المسير في علم التفسير) المجلد الخامس، ص٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

[٢] البغوي، أبو محمد الحسين، (مختصر تفسير البغوي المسمَّى معالم التنزيل)، الجزء الأول، ص٥٠٨، مكتبة المعارف، الرياض١٩٩٦م.

[٣] ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المجلد الرابع، ص٩، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

[٤] السمرقندي، نصر الدين محمد، (تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم)، الجزء الثاني، ص٣٠٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

[٥] الجزائري، أبو بكر جابر، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) الجزء الثاني، ص٢١٧، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

[٦] الزحيلي، وهبة، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) الجزء الثامن، ص٢٢، دار الفكر، دمشق، ط١١، ٢٠١١م.

وكأنّي أرى هؤلاء الفاتحين الآن، وأسمعهم وهم يهتفون، كما هتف النبيُّ (ﷺ) عندما دخل مكة فاتحًا منتصرًا: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ {الإسراء: ٨١}.

ثانيًا: ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾:

إنَّ الآية تصف شكل هذا الدخول للمسجد الأقصى، والمدينة المقدسة (بيت المقدس)، فهو ليس مجرَّدَ دخول، بلْ إنَّه دخولٌ كالدخول الأوَّل في الإفساد الأوَّل: ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ {الإسراء: ٧}.

وحرف الكاف في قوله تعالى: ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ {الإسراء: ٧}. يجعلنا نستحضر شكل الدخول الأوَّل، وطريقته، ونتائجه، فهما صورتان متشابهتان.

يقول الطاهر بن عاشور: (ودخول المسجد دخول غزو بقرينة التشبيه في قوله تعالى: (كما دخلوه أول مرة) المُراد منه: فجاسوا خلال الديار. [1]

وهنا نسأل: كيف كان الدخول في أوّل مرّة؟

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر، (تفسير التحرير والتنوير)، المجلد السابع، ص٣٧، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾ {الإسراء: ٥}، فَلْنتدبَّر الآية من جديد لنقف عند بعض المعاني والإشارات، فنستدلَّ من خلالها على كيفية دخول المسجد في المرَّة الأولى:

الإشارة الأولى: ﴿ بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ ﴾:

نجد في كلمة: ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ معنى العلوّ والغلبة والاستحواذ والقهر والسيطرة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾ {المائدة: ٢٣}، فهم عباد لله مبعوثون على بني إسرائيل، وليسوا مبعوثين إلى بني إسرائيل، وهذا يوحي بأنَّ الدخول كان فيه استحواذٌ وسيطرة، وغلبة وتحكّم، وهو نفسه ما سيكون في الدخول الثاني بإذن الله تعالى.

الإشارة الثانية: ﴿ عِبَادٗا لَّنَآ ﴾:

فقد جاء التعبير القرآني دقيقًا جداً، ليحمل إلينا المعنى المُراد من الله تعالى من غير لبس أو غموض، فهؤلاء عبادٌ لله مأمورون من الله تعالى، وهم جندٌ من جنوده، يُنفِذُون قضاءه، ويحقِّقون وعده،

ولا مكان للتردّد، أو الخوف، أو التراجع في إنفاذ أمر الله تعالى بالقضاء على إفساد بني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين).

الإشارة الثالثة: ﴿ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾

إنهم عباد لله أشدَّاء أقوياء، يمتلكون من الشجاعة والجَسَارة والجرأة والشدة ما يجعلهم جديرين بأن تُسند إليهم مُهِمّة القضاء على الإفساد والعلوِّ الكبير الذي كان عليه بنو إسرائيل في إفسادهم الأوّل، فلا خوف يحجزهم، ولا تردُّدَ يمنع تقدمهم، بل يندفعون كالأسود نحو مهمتهم وأهدافهم.

فالدخول الأوّل لا بُدَّ أنّه كان دخولًا قويًّا من قوم أقوياء أشداء، لم يقْوَ على دفعهم أو ردِّهم بنو إسرائيل برغم عُلُوِّهم الكبير، وهذا من آيات الله الظاهرة أنْ ينتصر عبادٌ لله أولو بأس شديد بالشجاعة والجسارة والإقدام، لا بالأسلحة المتطورة، على بني إسرائيل المفسدين العَالِين في الأرض، ليتحقق بذلك أنّ الفئة القليلة يمكن أنْ تهزم الفئة الكثيرة بإذن الله.

والملاحظ أنّ هؤلاء العباد لم يصفهم الله تعالى بأنهم: (أولو قوة)، كما جاء على لسان الملأ من قوم ملكة سبإ وهم يصفون أنفسهم: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، في إشارة إلى أنّ أهم ما يميّز هؤلاء العباد: البأس الشديد، والجُرأة، والبسالة، والشجاعة،

وجسارة القلب، وهم بحسب ما نفهم من الآية لا يملكون القوة المادية التي تقابل قوة بني إسرائيل، ولكنهم يملكون البأس الشديد،

وهو نفس ما سيحدث قريباً في الدخول الثاني لبيت المقدس في وعد الآخرة الحالي، فيكون إعلانًا للفتح والتحرير، وزوال (إسرائيل) بإذن الله تعالى.

الإشارة الرابعة: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾:

إنَّ الجَوْس فيه معنى التردد ذهابًا وإيابًا، بهدف التفتيش والفحص والتقصِّي، وإنما يحدث هذا الجوس من أولي البأس الشديد وهم يدخلون المدينة المقدَّسة، يفتِّشون خلال الديار عن المختبئين من بني إسرائيل، لقتلهم، أو أسرهم، أو معاقبتهم، أو طردهم.

فهم لم يكتفوا بمقاتلة مَن يقاتلهم، بل كانوا يجوسون بين الدّيار والأزقَّة، والبيوت والشوارع، بحثًا عن كلِّ مَن ينتمي لدولة اليهود من الرجال والنساء، لئلا يكونَ لهم أملٌ في البقاء في الأرض المباركة، فيُفسِدوا من جديد.

إنَّنا نستطيع إذنْ أنْ نتخيَّل كيف كان الدخول في أوَّل مرَّة، فنعرفَ أنَّه كان دخولاً عنيفًا وقويًا، فيه علوٌّ، وسيطرةٌ، وقتلٌ، وأَسْر، ونفس الأمر سيحدث في وعد الآخرة، وسيبعث الله على اليهود عباداً له أشداء أقوياء أُولي بأس شديد، وسيدخلون المدينة المقدَّسة كما

دخلوها أوَّل مرة: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ {الإسراء:٧}، وسيجوسون خلال الدِّيار كما جاسوا في أوَّل مرَّة، وسيقتُلون ويأسرون كما فعلوا في المرَّة الأولى بإذن الله تعالى.

ومعلوم أنَّ الذين دخلوا المدينة المقدَّسة في أوّل مرّة هم البابليُّون بقيادة المَلك نبوخذ نصَّر، فقَضَوْا على فساد بني إسرائيل، وعلوِّهم الكبير في سنة ٥٨٦ ق. م، كما رجَّحنا عند تدبّرنا لقوله تعالى: (عباداً لنا) في هذا الكتاب.

ولا يغيبَنَّ عنَّا أنَّ البابليِّين هم قبائل عربية هاجرت من الجزيرة العربية، واستقرَّت في العراق، ثم انتشروا في بلاد الشام أيضاً، ممَّا يُرجّح أنَّ العباد الأشدَّاء الذين يبعثهم الله تعالى على بني إسرائيل في وعد الآخرة هم عربٌ، ومن أصولٍ عربية، وفي نفس الوقت هم مسلمون، ينتهجون الإسلام في حياتهم، ومقاومتهم، ويُقارعون الاحتلال الإسرائيلي المُفسِد بما يملكون من بأس شديد، وبما يُعِدّون من القوة، وبإذن الله تعالى سيدخلون بيت المقدس فاتحين محرِّرين قريباً، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الوقفةُ السابعةَ عشرةَ

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾

الـــــــزَّوَال

هذه هي المرحلة الأخيرة لزوال الإفساد الإسرائيلي عن الأرض المباركة فلسطين، إنَّه التَّتْبير لكل ما يرمز لقوة اليهود وعلوِّهم الكبير بكلِّ صوره وأشكاله.

(وهي مرحلة هزيمة وإزالة، وليس إبادة، تحدثت عنها سورة الإسراء، والتي تُوَجَّه إلى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بانتصار المسلمين المجاهدين على اليهود، ويتحقق فيها تدمير كيانهم، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلِّها منهم، وتحويل اليهود بها إلى قوم أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في مختلف البقاع).[1]

إنَّ التَّتْبير هو الإهلاك والتدمير، والتحطيم والتكسير والتفتيت، بحيثُ لا يبقى مما تَمَّ تتبيره شيءٌ يقوم بذاته، وفي هذا يقول الله تعالى على لسان نوحٍ عليه السلام: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

[1] العفَّاني، سيد حسن، (تذكير النفس بحديث القدس واقدساه) الجزء الثالث، ص ٣٨٤، مكتبة معاذ بن جبل، ٢٠٠١م.

تَبَارَۢا﴾ {نوح: ٢٨}، أيْ لا تزدهم إلا دماراً وإهلاكًا لا يُبقي لَهم باقية.

ولن يقع هذا التَّتبير إلا بعد دخول بيت المقدس، وتحرير المسجد الأقصى: ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ {الإسراء:٧}، حيثُ سيكون هذا الدخول عنيفًا وقويًا يتم فيه تحرير المدينة المقدسة من اليهود المغتصبين الذين تدعمهم قوى الظلم العالمية، في حالة من الخذلان العربي الرسمي، وهذا يستدعي قتالًا في كلِّ مكان من القُدْس، كما فعلوا في أوَّل مرَّة: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ {الإسراء:٥}.

إنَّ دخول القدس والمسجد الأقصى (بيت المقدس) لن يتمَّ إلا بعد الانتصار على اليهود في معاركَ كثيرةٍ تسبق هذا الدخول، أظن أشرسها سيكون في عسقلان، وستبدأ عمليات عسكرية عنيفة وقوية في القدس، ستتبعها عمليات التتبير بإذن الله تعالى.

إنَّ دخول القدس سيكون ذروة الانتصار، وغاية المجاهدين في المرحلة الثانية، تمهيداً للتَّتبير، وهو المرحلة الثالثة والأخيرة، خاصَّة أنَّ القدس هي المدينة التي يتَّخذها اليهود عاصمةً مركزيةً

لقوتهم السياسية والسيادية، لذا فإنَّني أرى أنَّ أكثر ما يكون من التَّتْبير سيكون في القدس (بيت المقدس).

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾:

ويُمكنني الوقوف عند بعض المعاني والدلالات في الآية الكريمة:

١. ﴿مَا عَلَوْاْ﴾: أيْ ما استولَوْا وسيطروا عليه بالقوة والقهر والغلَبة، فالداخلون للقدس والمسجد الأقصى سيتبِّرون ما سيطروا عليه وغلبوه وقهروه بطريق القوة والقتال والانتصار، على اعتبار (ما) اسماً موصولًا بمعنى الذي، وهي هنا مفعول به.

أي أنهم سيتبّرون ويدمّرون ما كان يتحصن فيه اليهود من أبراج وحصون ومواقع، فهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ {الحشر: ١٤}، فلا يَبقى لهم مكان يلجؤون إليه، ولا يجدون لهم فئة ينحازون إليها.

وواضحٌ أنَّ ما يتمُّ الاستيلاء أو السيطرة عليه في القدس سيكون بعد معارك طاحنة وعنيفة مع اليهود، فاستحقَّ الجوس والملاحقة، والتدمير والتَّتْبير.

ويمكن أنْ نفهم أيضًا أنَّهم سيتبِّرون كلَّما علَوا، أو أنهم سيتبِّرون ما استمرَّ انتصارهم وعلُوُّهم على اعتبار (ما) ظرفية للزمان.

وأيًّا ما كان مدلول كلمة (ما) في الآية ففي كلا المدلولين سيكون التتبير بالقوة والغلبة والعلُوّ، وسيزول معه الإفساد الإسرائيلي عن الأرض المباركة بإذن الله تعالى.

٢. ﴿تَتۡبِيرًا﴾: وفي التَّتْبير قهرٌ نفسيٌّ لليهود وخِزْيٌ، لتغتاظ نفوسُهم حسرةً وألمًا وحَزَنًا، كما في قوله تعالى﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ {الحشر: ٥}، فإنَّ الخِزْيَ ينطوي على الحسرة، فضلاً عن المَعَرَّة والافتضاح من أثر الهزيمة.

وكلمة: (تتبيراً): مفعول مطلق جاء ليؤكِّد الفعل (وليتبروا)، وهو تَتْبيرٌ حقيقيٌّ مُطْلَق، يجعلنا نتصور الدَّمار والإهلاك كأنَّه يقع أمامنا دون قيود على هذا الدمار والإهلاك والتفتيت.

وهذا يجعلنا نفكر في السؤال التالي:

(ماذا سيُتبِّر هؤلاء المنتصرون في القدس وفلسطين؟)

معلومٌ أنَّ اليهود يتّخذون من القدس عاصمة لهم، وهي تضم مواقع وأماكن ومؤسسات تعتبر رموزًا للسيادة الإسرائيلية على القدس، وأرى أنَّ هذه الأماكن والمواقع ستشهد مواجهاتٍ عنيفةً وطاحنةً مع اليهود، بما تشكِّل من رمزية للوجود والقوة لليهود في القدس وفلسطين.

وستكون النتيجة لصالح الداخلين إلى القدس من المقاتلين والمجاهدين، وسيقومون بتتبير كل هذه المؤسسات والمواقع بما فيها، وعلى مَنْ فيها، بإذن الله تعالى.

ومن هذه المواقع والمؤسسات التي أتوقع تتبيرها:

١. مقرّ الكنيست (البرلمان الإسرائيلي)، والذي يرمز إلى الوجود السياسي لليهود في القدس وفلسطين.

٢. مقرّ مجلس وزراء (الاحتلال الإسرائيلي)، ومقراتّ الحكومة (الإسرائيلية)، وهي تعتبر أيضًا رمزًا للسيادة الإسرائيلية على القدس وفلسطين.

٣. وإذا كانت الروايات التاريخية تتحدث عن أنَّ المَلِك نبوخذ نَصَّر قد قيّد المَلِك اليهودي (صِدْقيا) وقلع عينيه في الدخول الأول، فإنّي أتوقّع أنْ يتمَّ أَسْر أو قتل رئيس الحكومة الإسرائيلية، أو رئيس الدولة الإسرائيلية في وعد الآخرة الحالي بإذن الله.

٤. مؤسسات رئاسة الدولة، ومكتب رئيس الدولة، والذي يرمز إلى إفساد اليهود وعلوِّهم.

٥. بعض المواقع والوزارات الحكومية التي يمكن أنْ يكون بقاؤها شاهداً على استمرار الإفساد والعلوِّ الإسرائيلي.

٦. المواقع العسكرية المختلفة، ومواقع التدريب، وأبراج المراقبة، حيث ترمز إلى الإفساد والعلوِّ الإسرائيلي.

٧. الجدار الفاصل والحواجز التي تمزِّق نسيج المدن الفلسطينية.

٨. كلُّ الرايات والأعلام "الإسرائيلية" في أيِّ مكان من فلسطين.

٩. كلُّ اللوحات المكتوب عليها باللغة العبرية، حيث ترمز إلى تهويد القدس وفلسطين.

ولا يقتصر التَّتْبير على الجانب الماديّ، بل سيمتدُّ إلى تتبير العلوِّ المعنويّ، وتحطيم ما ترمز إليه (إسرائيل) من القوة والعنجهية،

والسيطرة والغنى، وغير ذلك مما يرمز إلى الإفساد والعلوّ الإسرائيلي في القدس وفلسطين.

ولا أظنُّ أنَّ المجاهدين المنتصرين سيتبّرون المساكن والعمارات والأبراج السكنية، بل سيتَّخذونها غنائم للاستفادة منها في إيواء أكثر من ستة ملايين لاجئ فلسطيني في الشَّتات منذ ١٩٤٨م، وهو كما قال ربُّنا عزَّ وجلَّ في حق يهود بني قريظة: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ {الأحزاب: ٢٧}.

ولا أظنُّ أنْ يتمَّ تتبير المدارس والجامعات، أو المستشفيات، أو الشوارع، أو الأشجار، أو المؤسسات العامّة، إذْ تُعتَبَر غنائم للمسلمين، وحقًّا مستردًّا لهم، فاستهداف المؤسسات بالتتبير لا يُقصد به المباني لذاتها وإنما بقدر ضررها على المسلمين، مثل المقرّات العسكرية وما شاكلها.

وسيُصلِّي الفاتحون المنتصرون في المسجد الأقصى المحرَّر صلاة الشكر على النَّصر والتحرير بإذن الله تعالى، وستعلو في القدس أصوات التكبير، وسيخِرّ الموحّدون للأذقان سُجّدًا، ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعد ربنا لمفعولًا، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ

ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ {الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩}.

وسيهتف الفاتحون كما هتف النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم في فتح مكة: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ {الإسراء: ٨١}، وسيُسبِّحون بحمد ربِّهم كثيراً، وسيستغفرونه كثيراً، وسيتْلُوون قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ {النصر: ١ - ٣}.

ومع تحرير القدس، والتي سيدافع عنها اليهود أكثر من غيرها، باعتبارها عاصمتَهم ومقرَّ حكمهم وإفسادهم، سينطلق المجاهدون إلى بقية فلسطين يُطهِّرونها، ويتبِّرون كلَّ مظاهر الإفساد والعلوِّ الإسرائيلي فيها، وسيهرب اليهود من أمام وجوههم، ولن يبقى يهودٌ معتدون في فلسطين بإذن الله تعالى.

إنَّ عملية التَّتْبير التي سيقوم بها عبادٌ لله أولو بأسٍ شديد لكلِّ رموز الإفساد الإسرائيلي في الأرض المباركة فلسطين، ستعني نهاية (إسرائيل)، وزوالها بشكل كامل، وستزول معها كل مظاهر علوِّهم الكبير، فلا يبقى لهم علوٌّ سياسي، ولا علوٌّ اقتصادي، ولا علوٌّ عسكري، ولا علوٌّ إعلامي بإذن الله تعالى.

ماذا بعد التَّتْبير (الزَّوال)؟

إنَّ عملية التَّتْبير التي سيقوم بها المجاهدون لكلِّ رموز الإفساد الإسرائيلي في الأرض، ستعني نهاية (إسرائيل)، وزوالها بشكل كامل، وسيزول معها كل مظاهر علوِّهم الكبير، فلا يبقى لهم علوٌّ سياسي، ولا علوٌّ اقتصادي، ولا علوٌّ عسكري، ولا علوٌّ إعلامي، وسيسيطر المجاهدون المنتصرون على المطارات العسكرية، والطيران الإسرائيلي، وستصبح الموانئ وما فيها من السفن الحربية والمدنية غنائم للمنتصرين، وسيستفيدون منها في دولتهم القادمة بإذن الله تعالى.

ويمكنني أنْ أتوقع بعد عمليات التَّتْبير النتائج التالية:

أولاً: تخلِّي أوربا وأمريكيا والغرب الصليبي عن اليهود، وعن دعمهم، خاصّة بعد ظهور ضعفهم أمام المجاهدين، ورجال المقاومة الفلسطينية، وهو انقطاع حبل الناس عنهم، كما في قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ {آل عمران: ١١٢}.

ثانيًا: هروب اليهود من فلسطين، ورحيلهم إلى بلادهم التي قدموا منها، أو إلى أيّ مكان خارج فلسطين، فضلًا عن قتل وأَسْر

الكثير منهم أثناء عملية التحرير والتتبير والتطهير، وسقوط دولتهم وكيانهم بشكل كامل.

ثالثًا: الإعلان عن تحرير فلسطين، وعودتها إلى حضن شعبها وأهلها، وأمتها العربية والإسلامية، وإعلان قيام دولة إسلامية تكون عاصمتها بيت المقدس بإذن الله تعالى.

رابعًا: سقوط بعض الأنظمة العربية التي كان وجودها مرتهنًا بالوجود الإسرائيلي في المنطقة، وسيكون ذلك السقوط على أيدي شعوبهم الثائرة المنتفضة بإذن الله تعالى.

خامساً: عودة اللاجئين الفلسطينيين من مخيمات اللجوء والشتات إلى مدنهم وقراهم في وطنهم فلسطين، وستقوم لجانٌ وجهاتٌ حكومية متخصِّصة باستيعاب هؤلاء العائدين في العمارات والمساكن التي تمَّ اغتنامها من اليهود الهاربين والمنهزمين، وإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم، وتعويضهم عن عشرات السنين من التشريد والحرمان والملاحقة بإذن الله تعالى.

جُــنْدُ التَّحرِيـــــــر

ويسأل سائلٌ:

أولًا: كيف ستُحرّر فلسطين من هذا الاحتلال القويّ والمدعوم من الغرب، ومن الأنظمة العربية والإسلامية الرسمية كذلك؟

ثانيًا: مَن سيكون هؤلاء العباد الذين سيبعثهم الله تعالى لدخول بيت المقدس، وتحرير الأقصى، وإزالة الإفساد الإسرائيلي في الأرض؟

ثالثًا: هل سيأتون من خارج فلسطين؟

رابعًا: هل هم أهل فلسطين؟

خامسًا: أم إنَّهم من خارج فلسطين ومن داخلها؟

وسنستعرض فيما يلي بعض الأحاديث الصحيحة، لنَصِل معًا إلى إجابة هذه الأسئلة:

١. عن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأواء[١] حَتّى

(١) اللأواء: ضيق المعيشة، مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ج٢، ص٨١٣، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، ١٩٩٠م.

يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ).[1]

٢. عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ).[2]

٣. عن معاويةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ).[3]

---

(١) مسند أحمد (٣٦/ ٦٥٦) ح ٢٢٣٢٠، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [النحل: ٤٠]، ح ٧٤٥٩، ومسلمٌ في صحيحه، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)، ح ١٩٢١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب "سؤال المشركين أن يريهم النبي عليه السلام آية"، ح ٣٦٤١.

٤. عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ).(١)

٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَزَالُ لِهَذَا الْأَمْرِ - أَوْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ - عِصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا يَضُرُّهُمْ خِلَافُ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ).(٢)

٦. عن جَابِر بْنِ عَبْدِ اللهِ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).(٣)

٧. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، فهم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)، ح ١٩٢٠.

(٢) مسند أحمد (١٤/ ٢٥)، ح ٨٢٧٤. وقوّى الأرناؤوط إسناده.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح ١٥٦.

كالإناء بين الأكلة، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس) [(١)].

٨. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس) [(٢)].

٩. قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابْنَ حَوَالَةَ [هو عبد الله بن حوالة الأزدي]، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ[(٣)] وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوَالَةَ حِمْصِيٌّ).[(٤)]

---

(١) مسند عمر ٢/٨٢٣، إسناده صحيح.

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد (١/٢٩١)، رجال ثقات.

(٣) البَلابِل هنا: مُفْردُها البَلْبَال، والبَلْبَالَة: وهي شدَّة الهَمِّ، والوسْوَاس، نقول: بَلْبَلَ المتاعَ بَلْبَلَةً، وبَلْبَالًا: فرَّقَهُ وبدَّده، وبَلْبَلَ القَوْمَ: أوقَعَهُمْ في شِدَّةٍ من الهَمِّ والوسَاوِس، وبَلْبَلَ اللهُ أَلْسِنَةَ الخَلْقِ: فَرَّقَهَا(المعجم الوسيط ج١، ص٦٨).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ، ح ٢٥٣٥. وصحّحه الألباني.

١٠.وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تبرح عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين، لا يبالون خذلان من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله على ذلك)[١].

١١.وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرُّهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أنْ تقوم الساعة)[٢]

١٢.وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوّل هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون مُلكًا ورحمة، ثم يتكادَمُون عليه تكادُم

(١) رواه أبو يعلى رقم (٧٣٦٦)، والطبراني في الكبير (٣٨٦/١٩)، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧)، والطبراني في الأوسط (٤٧)، وابن عدي في الكامل ٧/٧٤، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

الحُمُر[1]، فعليكم بالجهاد، وإنَّ أفضل جهادكم الرباط، وإنَّ أفضل رباطكم عَسْقَلان)[2].

١٣. عن معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم....... حتى تقوم الساعة)[3]

ومن خلال استعراض الأحاديث السابقة على اختلاف رواياتها، نجد أنّها تتحدث في مجموعها عن طائفة من أمّة النبيِّ محمد (ﷺ) تتَّصف بما يلي:

---

(١) (يتكادَمُون عليه تكادُمَ الحُمُر): نقول: تَكَادَم الفَرَسَانِ: عضَّ أحدُهما صاحبَه، والحُمُرُ جَمْعُ حمار، (المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٨٨) (١١١٣٨)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"(٥/١٩٠): " رجاله ثقات"، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٧٠). وعسقلان مدينة تقع جنوب فلسطين على البحر المتوسط، ومن جنوبها غزة المحاصرة التي تجاهد وترابط بصبر وقوة.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٤٨٥) (٢١٩٢)، وقال: "حسن صحيح"، وأحمد (٣/٤٣٦) (١٥٦٣٥)، وابن أبي شيبة (٦/٤٠٩) (٣٢٤٦٠)، والطبراني (١٩/٢٧) (٥٦،٥٥)، وابن حبان (١٦/٢٩٢) (٧٣٠٢)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي ص:١٩، والسلسلة الصحيحة رقم (٤٠٣)، وصحيح الترمذي (٢١٩٢)، وصحيح الجامع (٧٠٢)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (١٠٨٣)، وشعيب الأرناؤوط في مسند أحمد (٣/٤٣٦).

أولًا: صفة الاستمرار، وعدم اليأس، وهذه الصفة نأخذها من التعبير: (ولا تزال) و(يظلُّون)، فهم مستمرون في صبرهم ومقاومتهم بلا توقُّف.

ثانيًا: الظهور على الحق، والدفاع عنه، والتمسك به، وهو الذي عبّرت عنه بعض الأحاديث بلفظ (الدِّين)، فهو ظهور دين، وفكرة حق.

ثالثًا: قهر الأعداء (لعدوِّهم قاهرين) بمقاومتهم وجهادهم وقتالهم، وإيقاع النكاية في صفوفهم، وقضِّ مضاجعهم، فلا تقرُّ لهم عين، ولا يهنأ لهم عيش، ولا تستقرُّ لهم إقامة.

رابعًا: (لا يضرُّهم خذلان القريب، ولا مخالفة البعيد)، بل يظلُّون في طريقهم، مع بقاء الخذلان والمخالفة لهم من القريب والبعيد، لتحقيق أهدافهم في الجهاد والرباط من أجل التحرير، وإقامة الخلافة الإسلامية، لتكون السيادة لشريعة الله.

خامسًا: (شدَّة ما يصيبهم من اللأواء، والصبر على الأذى والحصار والتّضييق)، وليس أدَلَّ على ذلك من هذا الحصار الخانق الذي تتعرَّض له غزةُ ومقاومتُها، والتي تقع إلى الجنوب من عسقلان أفضل الرباط، فإنَّ (إسرائيل) تمارس ضدَّها كلَّ

أشكال الظلم السياسي، والاقتصادي، والعسكري، فتغلق في وجهها المعابر، وتشنّ عليها الحرب تِلْوَ الحرب، وتمنع عنها مقوِّمات الحياة الإنسانية، هي وعملاؤها من بني جلدتنا أو قوميِّتنا.

وشبيهٌ به ما يحدث لأهل الضفة الغربية من الظلم الذي لا يتوقف، ففي كلِّ مكانٍ (مستوطنةٌ إسرائيلية)، أو جدار، أو حاجز، وهناك اعتقالات يومية، وقتل، وتعذيب، واقتلاع للأشجار، ومصادرة للأراضي، وهدم للبيوت.

ويتعرض لنفس الخنْق والمحاسبة البوليسية العنصرية أهل فلسطين (في الداخل)، الذين يواجهون التمييز العنصري بأبشع أشكاله وصوره على أيدي اليهود المفسدين، الذين يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون.

سادساً: بقاء الخذلان من القريب، والمخالفة من البعيد، حتى يأتي أمر الله، وهذا نجده في قوله عليه الصلاة والسلام: (يظلُّون كذلك حتى يأتيهم أمر الله).

سابعًا: تحالف الأعداء من الكفار والمنافقين عليهم، فهم كالإناء بين الأكلة، وهذا لا يخفى على كلِّ ذي عقل وعَيْن، فها هو العالم

الظالم يقف مع (إسرائيل) ضدَّ هؤلاء الصابرين المجاهدين في فلسطين، وتتسابق الذئاب للنهش من لحومهم، دون أنْ يتراجعوا أو ييأسوا، تحقيقًا لحديث النبي (ﷺ): عن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**... فَإِنَّ اللَّـهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وأهله**)[1].

ثامنًا: وجود هذه الطائفة في فلسطين: (بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان)، فهم في فلسطين، وهم الذين يسوؤون الآن وجوه اليهود، وهم الذين سيدخلون المسجد الأقصى، وهم الذين سيتبِّرون ما عَلَوْا تتبيراً بإذن الله تعالى.

إنَّ هذه الصفات المذكورة في الأحاديث النبوية الصحيحة لا يتَّصف بها كلِّها إلا أهل فلسطين الذين يعيشون على أرض فلسطين في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس.

وهم الذين سيكون على أيديهم دخول بيت المقدس وتحريره عندما يأتيهم أمر الله، وهو قريب بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، (٥٨/٢٢) (١٣٧) وفي مسند الشاميين(٣٣٨٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق(١/٧٨) وقال:" صحيح"، قال المنذري في الترغيب والترهيب(٤/١٠٢):" رواته ثقات"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/٦٢): " رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٤٠٧٠)، وصحيح الترغيب والترهيب(٣٠٩٠).

لكنَّنا في الوقت نفسه لا نستبعد مشاركة بعض المسلمين من خارج فلسطين في معارك التحرير والتَّتبير، ولكنَّ هذه المشاركات ستكون مشاركات فردية وشخصية، وليست جماعية، بسبب مواقف الحكومات والأنظمة العربية والإسلامية التي تساند (إسرائيل)، وتعمل على حمايتها، بل وتعاقب مَن يقاومها، أو يدعو إلى مقاومتها.

إنَّ هذا يجعلني أميل إلى القول بأنَّ تحرير بيت المقدس وفلسطين سيكون من الداخل، على أيدي أهل فلسطين الذين يعيشون هذه الحال من الظهور على الحق، وقهرهم للأعداء، وخذلان القريب لهم، ومخالفة البعيد، والصبر على اللأواء والأذى، وانتظار أمر الله تعالى، وبقائهم في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، مرابطين صابرين، فهم رأس الحربة، وجند التحرير، في تحقيق وعد الآخرة، وزوال إفساد بني إسرائيل.

ومن خلال هذه الأحاديث التي تَمَّ استعراضها، فإنَّني أتوقع أيضًا أنْ يقوم مقاتلون من خارج فلسطين بمساندة أهل فلسطين عن بُعْد، وهو ما يشير إليه قول النبي (ﷺ) في الحديث الصحيح رقم (١١) الذي ذُكِر آنفًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): **(لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما**

حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أنْ تقوم الساعة)[1].

وإذا كنَّا نفهم أنَّ أبواب بيت المقدس وما حوله هي دائرة فلسطين، والمقاومة الفلسطينية، فإنَّ لنا أنْ نقول: إنَّ أبواب دمشق وما حوله هي الدائرة المحيطة بدمشق، بحيثُ تشمل دمشق، وما حول دمشق، والجولان، وتصل إلى جنوب لبنان.

ونحن نجد أنَّ الحديث الشريف قد جمع في الوقت نفسه بين مَنْ يقاتل على أبواب دمشق وما حوله، وبين مَنْ يقاتل على أبواب بيت المقدس وما حوله، وفي هذا إشارة إلى أنَّ العدوَّ الذي يقاتلونه عدوٌّ مشترك، وهم اليهود، وواضحٌ أيضًا أنَّ المقاتلين الذين يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله لن يتجاوز قتالُهم منطقةَ دمشق، ولن ينتقلوا إلى فلسطين، بل سيظلُّون في حدود دمشق وما حول دمشق.

وقد رأينا مؤخرًا (في فبراير٢٠١٨م) كيف تمَّ إسقاط طائرة (F16) إسرائيلية في المنطقة التي يمكن أنْ نسميها (أبواب دمشق وما حوله)، على أيدي المقاتلين في هذه المنطقة، ولا شكَّ أنَّ هذا يعتبر مساندة للمقاومة الفلسطينية، وإشغالًا لليهود وإضعافهم.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧)، والطبراني في الأوسط (٤٧)، وابن عدي في الكامل ٧/٧٤، قال الهيثمي: رجاله ثقات.

ولا نتصورَّ أنْ يكــون للعــرب المُطبِّعــين مــع الاحــتلال (الإسرائيلي)، والذين يعترفون به وبشرعيته، أيُّ دور فــي عمليــة زوال (إسرائيل)، ولا نتصور أنَّ هذه الأنظمة التي تربطها اتفاقيات سلام مع (إسرائيل) أنْ تسمح لشعوبها وجيوشــها بالمشــاركة فــي معارك التحرير والتَّتبير، فنحن قد رأينا بأنفسنا مواقف هذه الأنظمة من الحروب على غزة، فهي لم تكتفِ بأنْ تكون متفرِّجة على قتــل أبناء فلسطين، بل إنَّها كانت في مواقفها العمليــة تحاصــر الشــعب الفلسطيني في غزة، وتساند الاحتلال (الإسرائيليّ) بالمال، والبترول، والمعلومات الأمنية، والتغطية السياسية، والتطبيع، فلنْ يكــون لهــا شرف المشاركة في تحرير فلسطين، بلْ ستظلُّ هذه الأنظمة رمــزاً للخذلان الذي تتحدث عنه الأحاديث النبوية الصحيحة، حتى يأتي أمر الله بزوال حقبة الحكم الجبري، وكنس هؤلاء إلى مزابل التاريخ.

ثمَّ إنَّ سُنَّة الله الماضية لن تتخلَّف بإذن الله تعالى، فالله تعالى يقــول: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ {البقرة: ٢٤٩}، وأعتقد أنَّ الله تعــالى سينصر هذه الفئة المؤمنة الصابرة والمرابطة فــي بيــت المقــدس وأكناف بيت المقدس بإذن الله تعالى.

أحداثٌ تحدُث قبلَ الزّوال

كلّ ما يحدث في الأرض المباركة فلسطين هو مقدماتٌ لزوال الاحتلال، وبشرياتٌ بالنصر والحرية والاستقلال، وإنني على يقين من أنّ هذا النصر بات قريبًا جدًا، وأنّ زوال الاحتلال الإسرائيلي قادمٌ لا محالة، لكنني أتوقع أنْ تحدث قبل هذا الزوال بعض الأمور أعرضها فيما يلي:

أوَّلاً: أنْ تقوم المُقاومة الفلسطينيَّة بضرب مُدرَّجات المطارات العَسكريَّة للاحتلال بهدف تحييد الطيران، ومنعه من استهداف المجاهدين وإعاقة تقدمهم وزحفهم نحو عسقلان، ونحو القدس التي سيدخلونها حتمًا كما في قوله تعالى: (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوَّل مرَّة).

ثانيًا: دخول المجاهدين إلى "عسقلان" والرباط فيها، استعدادًا للانطلاق منها شرقًا نحو القدس، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (... وإنّ أفضل جهادكم الرباط، وإنّ أفضل رباطكم عسقلان).

ثالثًا: مشاركة المُقاومة الفلسطينيَّة في الضفة الغربية والداخل الفلسطينيّ في معارك التحرير، بحيث تكون كلُّ الأرض الفلسطينيَّة

ساحاتِ حرب ومُقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يجعلني أتوقع سقوط السلطة الفلسطينيَّة وأجهزتها الأمنية التي ما فتئت تحارب المُقاومة بكل أشكالها، وتعتقل وتلاحق المجاهدين، وتُنسِّق أمنيًا مع الاحتلال حمايةً له، وتنفيذًا لاتفاقية أُوسلو.

رابعًا: تَخَلِّي الغرب المتمثل في "أمريكا" و"أوربا" عن دولة الاحتلال، وتركها لمواجهة مصيرها بنفسها، وهو انقطاع حبل الناس عنهم كما في قوله تعالى: (إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس).

خامسًا: حدوث هجرة يهوديَّة عكسية كبيرة غير مسبوقة، بحيث يلجأ ويضطر أكثر المحتلين إلى الهروب بحرًا وجوًّا إلى بلادهم التي جاءوا منها، خاصة أنهم يحملون جنسياتٍ من أكثر من سبعين دولة، وهو قول الله تعالى: (عسى ربكم أنْ يرحمكم)، فالله تعالى يأذن لهم بهذا الهروب والرحيل.

سادسًا: حدوث معارك طاحنة وعنيفة بين المجاهدين الفاتحين وقوات الاحتلال في بيت المقدس (القدس) يكون نتيجتها هزيمة الاحتلال وانتصار المجاهدين وجوسهم خلال الديار، ومن ثَمَّ تتبير كلّ مظاهر الإفساد والعلُو الإسرائيلي في المدينة المقدسة والأرض المباركة، وإعلان الزوال بإذن الله تعالى.

سابعًا: إلى أنْ تزول دولة الاحتلال على أيدي أبناء فلسطين من أُولِي البأس الشديد فإنّ الخذلان العربي والإسلامي الرسمي سيستمر: فعن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأواء حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)، فالخذلان سيستمر إلى أنْ يأتي أمر الله تعالى بانتصار هذه الطائفة الظاهرة على الحق في فلسطين، وانتهاء الإفساد الإسرائيلي في الأرض على أيديهم بإذن الله تعالى.

رباط عسقلان بُشرى ووعد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أوَّلُ هذا الأمر نُبُوةٌ ورحمة، ثم يكون خلافةً ورحمة، ثم يكون مُلكًا ورحمة، ثم يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُر، فعليكم بالجهاد، وإنَّ أفضل جهادكم الرباط، وإنَّ افضل رباطكم عسقلان) (١)

عند تأمُّل الحديث السابق فإنَّنا نستطيع أنْ نفهم السياق الذي جاء فيه الإخبار عن المدينة الفلسطينية (عسقلان)، حيث إنَّها ستكون أفضل رباط المسلمين، وفي وقت هو أشدّ المراحل ظلمًا ومحنة على أهل فلسطين.

والحديث يخبرنا أنَّ الرباط في (عسقلان) يكون في مرحلة متأخرة من مراحل انتقال وتحوُّل الحُكم لدى المسلمين، بحيث تختفي فيه الرحمة، ويعُمُّ الظلم، وتخضع فيه الأرض المباركة للإفساد والاحتلال والضياع، ممّا يستدعي الجهاد والرباط.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير(١١/٨٨) (١١١٣٨)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رجاله ثقات، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٧٠)

ويمكن تحديد هذه المرحلة من خلال استعراض المراحل المختلفة الذي يتناولها الحديث الشريف، وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة النبوة والرحمة:

وهي المرحلة التي كان فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الحاكم الرحيم، وقد انتهت هذه المرحلة بوفاته عليه الصلاة والسلام.

المرحلة الثانية: مرحلة الخلافة الراشدة:

وهي مرحلة الخلفاء الراشدين الذين حكموا بهَدْي النبي صلى الله عليه وسلم، مع ما كان فيها من رحمة، وقد انتهت.

المرحلة الثالثة: الحكم الملكي (الوراثي):

وهي ما تُعرف بمرحلة (المُلك العاض أو العضوض)، كما في الحديث عن النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة ما شاء الله أنْ تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون مُلكًا عاضًا، فتكون ما شاء أنْ تكون، ثم يرفعها الله

تعالى، ثم تكون مُلكًا جبرية، فيكون ما شاء الله أنْ يكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت ...)[1].

وهي مرحلة جاءت بعد مرحلة الخلافة الراشدة، وبدأت من أول عهد الأمويين واستمرت حتى نهاية الحكم العثماني، وكان لا يزال الحكم في هذه المرحلة فيه رحمة كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد انتهت هذه المرحلة في أوائل القرن العشرين.

المرحلة الرابعة: مرحلة تكادُم الحُمُر:

وهي مرحلة المُلك الجبْري، والصراع على الحكم، والتكادُم عليه كما تتكادم الحُمُر، من خلال الانقلابات العسكرية الكثيرة، والصراعات المختلفة، وقد بدأت هذه المرحلة بعد انتهاء حكم العثمانيين في بداية القرن العشرين على أغلب الظن، ولا تزال مستمرة.

وفي هذه المرحلة بالذات نجد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بالجهاد، ويذكر (عسقلان)، ويخبرنا بأنَّ أفضل جهادنا الرباط، وأنَّ أفضل رباطنا عسقلان!!

---

(١) الألباني تخريج مشكاة المصابيح ٥٣٠٦ إسناده حسن

وهو أمر يُلفت النظر، وكأنَّه إخبارٌ بالغيب، فقد اُحتُلت فلسطين من قبل الصهاينة، وأنشأوا دولتهم على أرضها عام ١٩٤٨م، وشرّدوا مئات الآلاف من أهلها، مما استدعى الجهاد والرباط لتحريرها، وهو ما نجده في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يوصينا بالجهاد والرباط في منطقة (عسقلان) بفلسطين: (ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر، فعليكم بالجهاد، وإنَّ أفضل جهادكم الرباط، وإنَّ أفضل رباطكم عسقلان).

لماذا عسقلان؟

عسقلان نقطة الانطلاق..

ومعلوم لدى الجميع أنَّ عسقلان مدينة فلسطينية احتلها الصهاينة في عام ١٩٤٨م، وهي تقع إلى الشمال من غزة المحاصرة، ومعلومٌ أنَّ المجاهدين لا يمكنهم الرباط فيها الآن، لأنها جزءٌ من أرض فلسطين المحتلة.

لكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عسقلان تحديداً، فيقول: **(وإنَّ أفضل رباطكم عسقلان)**!! في إشارة إلى أنّ عسقلان ستكون نقطة الانطلاق لتحرير بيت المقدس بإذن الله تعالى.

ويمكننا أيضًا أنْ نفهم المُراد بعسقلان في حديث النبي صلى الله عليه سلم على وجهين:

الوجه الأول:

أنَّ المُراد بعسقلان: منطقة غزة القريبة من عسقلان ومحيطها، حيث إنَّ غزة وعسقلان تقعان على البحر المتوسط، وهما منطقتان سهليَّتان وساحليَّتان ومتجاورتان في جنوب فلسطين، ممّا يجعلهما كأنَّهما منطقة واحدة، ويمكن أنْ يكون المُراد بقوله عليه السلام: **(وإنَّ أفضل رباطكم عسقلان)** هو الرباط في غزة القريبة من عسقلان، خاصة أنَّ غزة فعلًا منطقة جهاد ورباط ومقاومة وتحدٍّ وصبر وثبات، يرابط فيها المجاهدون، ويُعِدُّون فيها ما استطاعوا من قوة للتحرير والعودة، ويَشُنُّ الاحتلال الإسرائيلي عليها الحرب بعد الحرب، فتقاوم ولا تنكسر، ويحاصرها القريب والبعيد، ويصبر أهلها على كل هذا، ولا يتخلَّوْن عن جهادهم ورباطهم، ولا يفرطون بسلاحهم رغم ما يجدون من لأواء وأذى، فليس بعيداً أنْ تكون غزة هي المقصودة برباط عسقلان، وفي هذا بشرى من النبي عليه الصلاة والسلام لأهلها ومجاهديها بأنَّ رباطهم هو أفضل الرباط.

الوجه الثاني:

أنَّ المُراد بعسقلان: هي منطقة (عسقلان) ذاتها، والتي تقع تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨م، وفي هذا بشرى للمجاهدين والمرابطين، ففي الحديث إشارة إلى أنَّهم سيرابطون في عسقلان قريباً، مما يجعلني أتوقع أنْ تندلع حربٌ قريباً، يكون من نتائجها أنْ تنتصر غزة، ويسيطر مجاهدوها على منطقة غلاف غزة، ومنطقة عسقلان، بعد مواجهات عسكرية ساخنة مع الاحتلال الإسرائيلي تضطره إلى الانسحاب وترك المنطقة، فتتحقق بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنْ يرابط المجاهدون في عسقلان، تمهيداً واستعداداً لفتح بيت المقدس، وتحرير كلّ فلسطين، والذي سيشارك فيه المجاهدون من بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

هل يُشارك المَهْديُّ عليه السَّلام في تحرير فلسطين؟

الجديرُ بالذكر هنا أنَّ المَهْديَّ عليه السلام لا علاقة له بتحرير فلسطين من اليهود، وأنّ الأحاديث التي يُذكَر فيها قتال المسلمين مع اليهود لا يُذكَر فيها المهدي مطلقًا، وإلى هذا ذهب الشيخ الألباني في (سلسلة الهدى والنور)، وهو أنَّ فلسطين سيتمّ تحريرها من اليهود قبل خروج المهدي بإذن الله تعالى.

وهو نفسه ما أستنبِطُه من الحديث الصحيح: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ).[١]

فالخلافة إذنْ ستكون في بيت المقدس قبل حدوث أيٍّ من أشراط الساعة الكبرى، والأمور العظام، والتي منها خروج المهديِّ، وستكون الخلافة في بيت المقدس علامةً على دُنُوِّ أشراط الساعة.

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ، ح ٢٥٣٥. وصحّحه الألباني.

يقول الشيخ أحمد بن محمد رزوق: (ومن العلامات التي تحدث قبل خروج المهديِّ: تحرير فلسطين وتهيئتها، كي تكون أرض الخلافة القادمة بمشيئة الله تعالى، وهذا يكون قبل المهديِّ، وليس كما يظنُّ بعضُ النَّاس أنَّ الذي سيُحرِّر فلسطين هو المهديِّ)[1].

وممَّا يؤكِّد هذا ما جاء في الحديث الصحيح، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (يكون اختلافٌ عند موت خليفة، فيخرج رجلٌ من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيُخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويُبعث إليه بعثٌ من الشام، فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة...).[2]

فظهور المهديِّ عليه السلام سيكون بعد موت خليفة، ومعلومٌ أنَّ مصطلح (خليفة) إنَّما يُطلق على من تكون بيده الخلافة على المسلمين، وقول النبي عليه السلام: (فيبايعونه بين الركن والمقام) أيْ يبايعونه بيعةً كُبرى ليكون هو الخليفة عليهم بعد الخليفة الذي مات.

يقول الأستاذ بسَّام جرَّار: (ويظُنُّ البعض أنَّ نهاية الدولة الإسرائيلية تعني اقتراب اليوم الآخر، وهذا غير صحيح، ولا أصل

---

(١) رزوق، أحمد، (أشراط الساعة والفتن والملاحم)، ص٤٢٦، مكتبة سمير منصور، غزة، ٢٠١٢م.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣١٦/٦، وابن حبان في صحيحه ١٥٨/١٥.

له، أما قول الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود...، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول: إنَّ المقصود بأنَّ الأمر لا بد أنْ يحصل، وليس المقصود أنَّ قتالهم من علامات يوم القيامة).(١)

(إنَّ بعض المسلمين يردِّد مقولةً ينطوي باطنُها على سلبية قائليها، وحبِّهم للقعود، ذلك أنَّهم يقولون: إنَّا لن ننتصر على اليهود إلا في زمن ظهور المهديّ، وخروج الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وهذا القول رغم أنَّه رجْمٌ بالغيب، وتعطيلٌ للشرع، فإنَّ هناك من النصوص ما يدل على خلافه، ويثبت أنَّ قتالًا سيخوضه المسلمون مع اليهود، وينتصرون عليهم فيه قبل ظهور المهديّ، وقبل زمن الدجَّال).(٢)

وقد لفت الباحثان: د. نسيم ياسين، ود. سعد عاشور الانتباه إلى خطأ من يقول بأنَّ (إسرائيل) ستظلّ قائمةً حتى نزول المسيح

---

(١) جرار، بسام: (زوال إسرائيل٢٠٢٢م، نبوءة أم صدف رقمية): ٢٠٠٢، ط٣، ص٢١.

(٢) العفَّاني، سيد حسن، (تذكير النفس بحديث القدس واقدساه) الجزء الثالث، ص ٣٨٤، مكتبة معاذ بن جبل، ٢٠٠١م

عيسى بن مريم عليه السلام، وقد حشدا الأدلَّة النَّقلية والعقلية التي تبرهن على زوال (إسرائيل) قبل ظهور المهديِّ بإذن الله.

وجاء في بحثهما: (إنّ كثيراً من المسلمين يُخطِئُون _ في رأينا _ في فهم النصوص، فيظُنُّون أنّ دولة اليهود مستمرةٌ حتى قُبَيل الساعة إلى أنْ ينزل المسيح عليه السلام، وهذا خطأٌ ووَهْمٌ، فالنصوص تذكر أنَّه عند نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية).[1]

ويمكنني القول: إنَّ المجاهدين المسلمين سيُحرِّرون فلسطين، وسيُزيلون الإفساد الإسرائيلي عن جميع الأرض المباركة فلسطين، وسيُقيمون دولة الخلافة في القدس قبل ظهور المهديّ بإذن الله تعالى، وأنَّ المهديَّ سيكون فيما بعد خليفةً للمسلمين، وأنَّ الدجَّال عندما يخرج فإنَّما يقاتله المسلمون في فلسطين من خلال دولة الخلافة، وتحت قيادة نبيِّ الله عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي عليه السلام، د. سعد عبد الله عاشور _ د. نسيم شحدة ياسين، ص٢٧، ٢٠٠٤م.

الوقفة الثامنة عشرة

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾

زوالٌ لا إبــادة

يقول الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨).

الآية السابقة تتحدث عن بني إسرائيل بعد وقوع وعد الآخرة وإساءة وجوههم، ودخول مَن بعثهم الله تعالى مِن عباده أولي البأس الشديد المسجد كما دخلوه أوّل مرّة، وتتبيرهم ما علَوْا تتبيراً: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ {الإسراء: ٧}.

وفي الآية إشاراتٌ إلى معانٍ مختلفة، نذكر منها:

١. **(عسى)**: وهي من الله تفيد الوجوب، قال بذلك الطبري، وأبو الفرج بن الجوزي، والقرطبي، ومعنى هذا: إنّ رحمة الله تعالى كائنةٌ واقعةٌ لا محالة ببني إسرائيل بعد زوال إفسادهم، وتتبير مُلكهم، وسقوط دولتهم.

٢. جاء في تفسير مقاتل: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ ﴾ {الإسراء: ٨}: فلا يُسلَّط عليكم القتل والسَّبْي.

٣. **(أنْ يرحمكم):** هذه الرحمة من الرَّب باليهود ستمنَع إبادتهم وإفناءَهم، وما سيحدث في وعد الآخرة هو إنهاءٌ لإفسادهم وعلوِّهم الكبير في الأرض المباركة فلسطين، وتتبيرٌ لدولتهم، وسقوطٌ لمُلكهم.

٤. هذه هي الفرصة الأخيرة لليهود، فقد أفسدوا في الأرض مرَّتين، وعاقبهم الله تعالى بزوال إفسادهم ومُلكهم في المرَّتين، وسيكون لهم الآن فرصةٌ أخيرة للتوبة والإنابة، ولا فرصة لهم بالإفساد في الأرض المباركة بعد وعد الآخرة من جديد.

٥. عدم إبادة اليهود، وعدم قتلهم جميعًا، فيه رحمةٌ من ربهم بهم، وفي هذا دليل على أنَّهم سيخرجون من فلسطين هروبًا وبحثًا عن نجاة أو حياة، وفي هذا الخروج أو الرحيل عن فلسطين رحمةٌ من ربهم بهم، حيث سيَبقَوْن على قيد الحياة، وتظهر قيمتها عندهم حين نتذكر أنَّهم أحرص الناس على حياة، يودُّ أحدهم لو يُعمَّر ألف سنة.

ويمكن أنْ نفهم معنى الآية كما يلي:

لقد أفسدتم يا بني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين مرّتين، وبعد المرَّة الأولى ردَّ الله تعالى لكم الكرَّة على مَنْ أزال مُلككم، ولكنكم لم تتَّعظوا، ورجعتم للإفساد في فلسطين مرَّة أخرى،

فعاقبكم الله تعالى، وبعث عليكم من يُزيل مُلكَكم ويُتبِّر إفسادكم وعُلُوكم تتبيراً، دون أنْ يُقضى عليكم وعلى حياتكم بشكل كامل فيُستَأصَل فيه جنسُكم، وفي هذا رحمةٌ من ربكم بكم، فخُذوا هذه الفرصة بأنْ أبقاكم أحياءً، لعلكم تتوبون وترجعون.

وقد يسأل سائل:

- وهل يرحم الله تعالى الكافرين؟
- وكيف يرحم الله تعالى اليهود على كفرهم وإفسادهم؟

وللإجابة عن السؤالين السابقين أقول:

هناك فرقٌ بين المغفرة والرحمة من ناحية، وهناك فرق بين الرضى عن إنسان وبين رحمته من ناحية أخرى، فالمغفرة تجاوزٌ عن الذنوب، وعدم المُحاسبة عليها، وهذا لم يحدُثْ مع اليهود، بلْ إنَّ الله تعالى يُعاقبهم على إفسادهم في المرَّتين، ولا يَرْضَى عن فسوقهم، بل يقضي عليه، ويبعث عليهم في المرَّتين مَنْ ينسف ذلك نسفاً.

لكنَّ الرحمة من الله تعالى تكون للمؤمنين والكافرين، وتكون للأحياء والأموات، وتكون للكائنات والجمادات، لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف: ١٥٦}.

يقول السَّعدي في تأويل هذه الآية: (أيْ مِن العالم السُّفلي والعُلوي، البَرِّ والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلتْ إليه رحمة الله، أو غَمَرَه فضلُه وإحسانُه).

ونحن نجد هذا واضحًا في توجيه الله تعالى للإنسان، وكيفية تعامله مع والديه، حتى وإنْ كانا مشركين، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ {لقمان: ١٥}، ففي الوقت الذي قد يجاهد فيه الوالدان ابنهما على أنْ يُشرِك بالله، فإنَّ الله يأمره بأنْ يصاحبهما في الدنيا بالمعروف، ولا شك أنَّ في هذا رحمةً من الله تعالى بهما بالرغم من شركهما.

وفي سورة الإسراء يأمر الله تعالى الابن بأنْ يَخفض لوالديه جناح الذل من الرحمة، وأنْ يدعو لهما بالرحمة صراحةً، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ {الإسراء: ٢٤}، وهذا يُشير بوضوح إلى أنَّ رحمة الله تعالى تشمل المؤمن والكافر، فلا فرق بين والِدَيْنِ مؤمنين، ووالِدَيْنِ كافرين.

أمَّا الدعاء للكافرين بالمغفرة فلا يجوز مطلقًا، لأنَّه يخالف قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ {النساء: ٤٨}، وقد جاء

النَّهي صريحاً في القرآن الكريم عن الدعاء للكافرين بالمغفرة، حين قصَّ الله تعالى علينا ما كان من إبراهيم عليه السلام مع أبيه، حيثُ وعَدَه بأنْ يستغفرَ له ربَّه بقوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ {مريم: ٤٧}، لكنَّه سرعان ما رجع عن هذا الوعد، وهذا الاستغفار، عندما تبيَّن له أنَّ أباه عدوٌّ لله، وأنَّه لا يجوز الاستغفار له، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ {التوبة: ١١٤}.

وفي هذا إشارة إلى وجود فرقٍ في المعنى بين (الرحمة) و(المغفرة)، وفرقٍ في الحُكم الشرعي بين الدعاء بالرحمة الذي يجوز للوالدين مع شركهما، والدعاء بالمغفرة الذي لا يجوز أنْ يكون للمشركين مُطْلقًا.

والله تعالى مع رحمته فهو الحكيم العليم، وهو العزيز الذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، لكنَّ حكمته اقتضتْ أنْ يعاقِب بني إسرائيل بالقضاء على إفسادهم في المرّتين دون إبادتهم وقتلهم جميعًا، لذا فإنَّه يقول لهم: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾

{الإسراء: ٨}، فلو كانوا سيُقتلون جميعًا في وعد الآخرة، أو يُبادون، لما أنذرهم الله تعالى بهذا النذير، وسيتبين لنا في الوقفة القادمة بإذن الله أنهم يعودون فعلًا، وأنهم لم يتعلموا مما حدث لهم عندما أفسدوا في الأرض في المرتين.

الوقفةُ التاسعةَ عشرةَ

﴿ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴾

إنهم المؤمنون الذين سيَرَوْن بأعينهم وعد الآخرة يتحقق، بهزيمة اليهود، وزوال مُلكهم، ورحيلهم عن فلسطين.

ويرَوْن بأعينهم كيف يدخل المجاهدون بيت المقدس فاتحين مُهلِّلين مُكبِّرين، يتبِّرون كلَّ مظاهر الإفساد اليهودي في بيت المقدس، وفي الأرض المباركة فلسطين.

يرَوْن المجاهدين أُولي البأس الشديد وهم يدخلون رحاب المسجد الأقصى المبارك، يَنحَنُون لله تعالى، ويُصلُّون شكراً وعرفاناً.

عندها يخِرُّ المؤمنون للأذقان يبْكون بما رأَوْا، فيزيدهم تحقيق الله تعالى لوعده خشوعًا وإيمانًا ويقينًا: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ {الإسراء: ١٠٩}.

لقد كانوا واثقين دائماً من قدوم هذه اللحظات العزيزة، وكانوا على يقين من أنَّ الله تعالى لا يُخلِف وعده، فيقولون: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴾ {الإسراء: ١٠٨}.

إنَّ الظاهر من الآيات أنَّ المُراد بالوعد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ {الإسراء: ١٠٨}، هو وعد الآخرة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ {الإسراء: ١٠٧}: أيْ الذين كانوا يؤمنون ويثقون بحتمية مجيء ووقوع وعد الآخرة من قبل وقوعه، فالضمير (واو الجماعة) في قوله تعالى: (أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ) يعود عليهم، والضمير (الهاء) في قوله تعالى: (مِن قَبْلِهِۦٓ) يعود على: (وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ).

لكنَّ بعضاً من أهل التفسير يقولون بأنَّ الضمير (الهاء) في: اللفظتين: (به) و(قبله) في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ {الإسراء: ١٠٧}، يعود على القرآن الكريم، وليس على وعد الآخرة، ولا شكَّ أنَّ السياق القرآني يحتمل ما يقولون ظاهراً، خاصَّة أنَّ الآية التي سبقت هي: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ {الإسراء: ١٠٦}.

ولكنّ السياق القرآني ذاته لا يمتنع أيضاً عن احتمالٍ آخر في توجيه ضمير (الهاء) في قوله تعالى: (قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ)، بحيث يعود على (وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا

﴿جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ {الإسراء: ١٠٤}، خاصّة أنَّ الآية التي تتحدث عن القرآن: (وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ) جاءت معطوفةٌ على ما قبلها وهو: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ والذي هو (وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ)، فيكون وعد الآخرة هو الوعد الذي أنزله الله بالحق وبالحق نزل، وهو أقرب المذكورين قبل العطف عليه، وهو مدار الحديث في الآيات، وعليه يعود الضمير في قوله تعالى: (قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ).

وسأعرض فيما يلي مجموعة من الإضاءات المُهمة التي تساعدنا في التدبُّر والاستنباط، وفهم الآيات:

أولًا: إنَّ الضمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ {الإسراء: ١٠٥}، يعود على (وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ)، والذي هو جزءٌ من القرآن الكريم، فالله تعالى هو الذي أنزل هذا الوعد، وهو آخر مذكور قبل الضمير المتصل (الهاء) في لفظة (به) في قوله تعالى: (قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ)، ما يعني أنّ وعد الآخرة هو المتحدَّث عنه وليس القرآن الكريم.

ثانيًا: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ {الإسراء: ١٠٥}، جاء بعد الحديث عن وعد الآخرة، وهو يُشير إلى أنَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم يُبشر المؤمنين بوعد الآخرة الذي سيكون فيه

زوال إفساد بني إسرائيل الثاني والأخير عن الأرض المباركة فلسطين، وفي نفس الوقت فإنه يُنذر اليهود من عاقبة إفسادهم، وعلوِّهم الكبير.

ثالثًا: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ {الإسراء: ١٠٦}، فيه إشارة إلى أنَّ هذه الآية معطوفة على ما قبلها، فكما تحدثت الآية التي قبلها عن (وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ)، فإنَّ هذه الآية تحدثنا عن القرآن، وهي تبدأ بمنصوب هو: (وَقُرۡءَانٗا)، ويمكننا أنْ نتوقع العامل في نصبه من خلال السياق، كما يلي:

أ – العطف: فكما نزّلنا وعد الآخرة بالحق، فإننا نزّلنا قرءانًا.

ب – النصب على الاختصاص: كأنْ نقول: (وأخُصّ قرءانًا فرقناه).

ت – تقدير الفعل (اذكر)، فنقول: (واذكر قرءانًا فرقناه).

ث – تقدير الفعل (أمدح)، فنقول: (أَمدح قرءانًا فرقناه).

ج – تقدير الفعل (آتينا) فنقول: (آتيناك قرآنًا).

وهو ما يجعل الاحتمال قويًّا لأنْ يكون الضمير عائدًا على (وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ)، الذي عُطِفَت عليه الآية التي تتحدث عن القرآن.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ {الإسراء: ١٠٧}، لا يعني بالضرورة تلاوة القرآن كاملًا، بل يمكن أنْ يُتلى بعض القرآن، أو بعض أنباء القرآن، كتلاوة ما يتعلق بوعد الآخرة، أو غير ذلك، وبحسب هذا السياق فالذي يُتلى عليهم هو وقوع وعد الآخرة، وتتبير وزوال الإفساد الإسرائيلي.

خامسًا: إنَّ ذِكْر كلمة: (وعد) في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ {الإسراء: ١٠٨}، يجعل المُراد واضحًا، وهو (وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ) المذكور في الآية: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ {الإسراء: ١٠٤}، والذي تحدثت عنه سورة الإسراء منذ البداية.

سادسًا: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ {الإسراء: ١٠٨}، فيه تعبير عن التعجُّب لقدرة الله تعالى وعظمته، ولِما يرَوْن من وعد الله الذي يتحقق أمام أعينهم، فهو نفس الوعد الذي تحدثت عنه الآية: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ {الإسراء: ١٠٤}، فقد كانوا كثيرًا ما يتلونها، وهو ما دعاهم للتعجُّب والدهشة.

وأيًّا ما كان الأمر، فإنّ وعد الآخرة قادمٌ لا محالة بإذن الله تعالى، وعندها سيفرح المؤمنون بنصر الله، وسيسجد المؤمنون الذين كانوا يعلمون عن حقيقة وقوع هذا الوعد من قبل، وسيخِرُّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا.

الوقفةُ العِشـــرُون

﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾

الإِبَـــادَة

في الآية: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾ (الإسراء:٨) إخبارٌ من الله تعالى بأنَّ اليهود سيُحاولون العودة إلى إقامة دولة لهم في الأرض المباركة فلسطين من جديد، وذلك بعد زوال دولتهم وإفسادهم في وعد الآخرة، وهو ما سيتبيَّن لاحقًا بإذن الله.

والخطاب في الآية السابقة موجَّهٌ إلى بني إسرائيل في سياق الحديث عن زوال إفسادهم الأخير في ﴿وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، والذي سيكون على ثلاث مراحل:

١. **إساءة الوجوه:** ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾{الإسراء:٧}، وقد حدثت إساءة وجوه اليهود بوضوح في معركة "سيف القدس" وقبلها، ولا تزال تحدث.

٢. **دخول "بيت المقدس":** ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ {الإسراء:٧}، وهي مرحلة تحرير المدينة المقدسة "بيت المقدس"، والمسجد الأقصى.

٣. تتبير كل ما يسيطر عليه الفاتحون من المواقع والحصون: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾{الإسراء:٧}، وهو ما سيحدث بعد دخول القدس وقتال الاحتلال الإسرائيلي، والجوس خلال الديار، والقضاء على قوتهم بإذن الله تعالى.

وأنَّهم بعد زوال هذا الإفساد الأخير سيرحمهم الله تعالى بإبقائهم أحياءً من غير إفناء أو إبادة، لعلهم يتوبون، أو يرجعون عن معاصيهم.

لكنَّ الله تعالى يُنذرهم ويُحذّرهم من العودة إلى الإفساد من جديد، وأنَّه بمجرد عودتهم إلى الإفساد سينتقم منهم وسيُهلكهم، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾، فلا يُوجد فاصل بين (عُدتم) و(عُدنا)، فالعقوبة حاضرة وفورية، والإهلاك سريع ونهائي.

فهل سيعود اليهود للإفساد في فلسطين من جديد بعد زوال مُلكهم ودولتهم في إفسادهم الثاني والأخير، وبعد رحمة الله لهم بعدم إبادتهم وإفنائهم؟

في الآية الكريمة إشارة إلى عودة اليهود للإفساد من جديد، لكنهم لن يُسمَح لهم به، ولن يتمكنوا من الاستقرار أو الإقامة في فلسطين مرَّةً أخرى، ولن يكون لهم دولةٌ أو مُلْك بعد الإفسادين الأوّل والأخير، فقد قضى الله تعالى في أمرهم، فقال: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ

مَرَّتَيۡنِ﴾، فهما إفسادان لا ثالث لهما: ﴿وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ و ﴿وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

وممَّا يُؤكِّد عودة اليهود إلى الأرض المباركة فلسطين في محاولةٍ للإفساد من جديد، هو زحفهم مع المسيح الدجَّال مستقبلًا، حيثُ سيكون أكثر أتباعه من اليهود، كما في الأحاديث الصحيحة.

وفي ظنِّي أنَّ هدف الدجَّال ومَن معه من اليهود من زحفهم نحو فلسطين هو محاربة الدولة الإسلامية التي تتخذ من بيت المقدس عاصمةً لها، وبناء دولة لليهود في فلسطين من جديد على أنقاضها، وهو ما تشير إليه الآية: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾.

ويمكنني أنْ أقف عند معنيين ظاهرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾:

المعنى الأوَّل: إنْ عُدتم إلى الإفساد في فلسطين، عُدنا إلى تسليط عباد لنا عليكم.

المعنى الثاني: إنْ عُدتم إلى معاصيكم الأولى، عُدنا إلى العقوبة.

والمعنيان كلاهما سيتحققان في بني إسرائيل، فهم سيعودون إلى معاصيهم الأولى، وسيعودون مع الدَّجَّال ليفسدوا في الأرض المباركة من جديد كما سنُبيِّن في الصفحات القادمة.

عودةُ اليَهودِ مَعَ الدَّجَّال

سيعود اليهود للإفساد من جديد، وسيحاولون السيطرة على فلسطين، وبناء دولةٍ لهم فيها من جديد، لكنّ عودتهم هذه المرّة ستكون مع المسيح الدجَّال، والذي ستكون نهايته على يد نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام الذي سيقتله عند باب (لُدّ) في فلسطين، وستكون نهاية اليهود هي القتلَ والإبادةَ، وهو ما تُبَيِّنه الأحاديث التالية:

١. عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي (ﷺ) قال: **(يَتبع الدجّالَ من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة [١]) [٢].**

٢. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(يخرُج الدجَّال من يَهوديّةِ أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم التِّيجان [١]) [٢].**

---

[١] الطَّيلس والطَّالسان والطَّيلسان: (ضَرْبٌ من الأوشحة يُلبَس على الكتف أو يحيط بالبدن، خال عن التفصيل والخياطة، وهو ما يعرف في العامية المصرية بالشال، والجمع طيالس، وطيالسة) المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٦٢، وهو لباس يلبسه أحبار اليهود عادة.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (٢٩٤٤).

خوارق الدجَّال، وخوارق المؤمنين:

والدجّال كما هو معلوم سيكون معه قوة وخوارقُ كثيرة، وتصرفاتٌ خارجةٌ عن مألوفات الناس، ولكنَّ الله تعالى لا يترك عباده المؤمنين في فلسطين، ليشعروا بالعجز في مواجهة قوة الدجّال وما معه من الخوارق، بل يُهيِّئ لهؤلاء المؤمنين في فلسطين خوارقَ مختلفةً تُقوِّيهم وتنصرهم بإذن الله، ومن هذه الخوارق:

أولًا: نُطق الجمادات (الحَجَر والشجر وغيرهما):

فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنَّ الحجر والشجر وغيرهما ممَّا يختبئ اليهود خلفه سَينطِق وقوفًا مع المسلمين، ومؤازرةً لهم، ومنها هذان الحديثان:

١. روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي (ﷺ) قال: **(**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الشجر والحجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم،

---

(١) والتِّيجان جمع "تاج"، وهو ما يوضع على رءوس الملوك من الذهب والجواهر، وهو الإكليل، المعجم الوسيط، ج١، ص٩٠، والتيجان يلبسها أحبار اليهود على رءوسهم.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٢٤/٣)، قال الهيثمي في المجمع (٣٣٨/٧): ورجاله رجال الصحيح.

يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خَلفي فتعالَ فاقتُله، إلا الغَرقَد فإنَّه شجر اليهود). [1]

٢. وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (... وينطلق هاربًا، فيُدركه عند باب لُدٍّ الشرقيّ، فيقتُله، فيَهْزِمُ الله اليهود، فلا يبقى شيءٌ ممَّا خلق الله عزَّ وجلَّ يتواقَى به يهوديٌّ، إلا أنطق الله ذلك الشيء، ولا حجر ولا شجر، ولا حائط، ولا دابَّة، إلا الغرقد، فإنَّها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبدَ الله المسلم، هذا يهوديٌّ فتعالَ اقتُلْهُ). [2]

ثانيًا: نزول عيسى عليه السلام وقتلُه الدجَّال:

إنَّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو الذي يقتُل المسيح الدجَّال عند باب (لُدٍ)، واللُّد مدينة فلسطينية معروفة، تقع إلى الشمال الغربي من القدس في أواسط فلسطين، ومن أدلَّة ذلك هذان الحديثان:

١. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال خَطَبَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجَّال إلى أنْ قال: (فيقول عيسى عليه السلام: إنَّ لي فيك ضربةً لن تفوتني بها، فيُدرِكُه عند باب لُدٍّ الشرقي، فيقتُلُه، فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله عزّ

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: ‹كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٩٢٢).

[2] صحيح الجامع الصغير (٢/٢٦٦)، ورقمه (٧٧٥٢)، محمد ناصر الألباني.

وجلّ يتوارى به يهوديٌّ، إلا أنطَق الله ذلك الشيء، لا شجرة، ولا حجر، ولا دابة، إلا قال: يا عبد الله المسلم، هنا يهوديٌّ فاقتُلْهُ، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق...).[1]

٢. وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يقتُلُ ابنُ مريم الدجَّالَ ببابِ لُدٍّ)** [2].

فالدجَّال إذنْ سيدخل هو ومَن معه من اليهود إلى فلسطين، وسيكون نُطق الشجر والحجر في زمن القتال مع الدجَّال، وليس قبله، وهذا ما جاء صريحاً كما في هذين الحديثين الصحيحين:

١. عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: **(**يخرج الدجال في نقصٍ من الناس، وخفَّةٍ في الدِّين، وسُوءِ ذات بَيْنٍ، فيَرِد كلَّ مَنْهل، فتُطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجِها، ويُمنع داخلَها، ثم جبل إيلياء، فيُحاصِر عصابةً من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنظرون بهذا الطاغية أنْ تقاتلوه حتى تلحقوا بالله، أو يُفْتَحُ لكم؟ فيأتمرون أنْ يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم، فيقتُلُ الدجَّالَ ويُهزَم أصحابُه،

---

[1] صحيح الجامع الصغير (٢/٢٦٦)، ورقمه (٧٧٥٢)، محمد ناصر الألباني.

[2] أخرجه الترمذي في باب الفتن، (٢٢٤٤)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٤٥٧).

حتى إنَّ الشجر والحجر والمَدَر[1]، يقول: يا مؤمن، هذا يهوديٌّ عندي فاقتُلْهُ) [2].

٢. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي، فقال: ما يُبكيك؟ قالتْ: يا رسولَ الله، ذكرتُ الدجَّالَ فبكيْتُ، فقال رسولُ الله (ﷺ): إنْ يخرجِ الدجَّالُ وأنا حيٌّ كفيتُكُمُوه، وإنْ يخرجِ الدجَّالُ بعدي، فإنَّ ربَّكم ليس بأعور، وإنَّه يخرجُ في يهوديَّة أصْبَهان حتّى يأتيَ المدينة، فينزلَ ناحيتَها، ولها يومئذٍ سبعة أبواب، على كل نَقْبٍ منها مَلَكَانِ، فيخرج إليه شرارُ أهلها، حتى يأتي فلسطين بابَ لُد، فينزل عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنةً إمامًا عَدْلًا وحَكَمًا مُقْسطًا) [3].

وممّا سبق أخلُص إلى النتائج التالية:

١. سيعود اليهود إلى فلسطين مع الدجَّال، وسيكون هو قائدَهم، وسيكونون جنودًا وأتباعًا له، في محاولة للإفساد والعلو في فلسطين من جديد.

---

(١) المَدَر: البيوت المبنية من الطين اللزج المتماسك، (المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٥٨)

(٢) أخرجه الحاكم برقم (٨٦١٢) وصححه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم، وقال الألباني: وهو كما قالا.

(٣) مسند الإمام أحمد برقم (٢٣٩٠٧)، صححه الألباني.

٢. سينزل نبيٌّ الله عيسى بن مريم عليه السلام، ويقتُل الدجَّالَ قائدَ اليهود عند باب (لُد) في فلسطين، ممَّا يؤكِّد عودة اليهود إلى فلسطين مرة أخرى، بهدف الإفساد، وبناء المُلْك من جديد.

٣. مقتَلُ الدجَّال عند باب (لُدّ)، ونُطْقُ الحجر والشجر والجمادات وقوفًا مع المؤمنين في فلسطين، ومناداتهم لقتل اليهود، يؤكد أنَّ اليهود لنْ ينجحوا في إفسادهم مرَّة أخرى، وستكون نهايتهم القتل.

٤. ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾: فيها إشارة إلى سرعة انتقام الله تعالى من اليهود وقائدهم الدجال، وإبادتهم عن آخرهم، حتى الذين يستترون بالغرقد، فإنّ المسلمين سيلاحقونهم في شجرهم ليقتلوهم.

٥. فلسطين المباركة كانت دائمًا قاهرةً للظلم والظالمين على مرّ العصور، وستظل إلى يوم القيامة تردّ العدوان والمعتدين بإذن الله تعالى.

٦. خطأ الوعَّاظ والخطباء والمُدرِّسين الذين يخلطون بين زوال دولة (إسرائيل) في وعد الآخرة الحالي، وبين عودة اليهود مع الدجَّال، فإنَّ الشجر والحجر سينطقان فقط في زمن الدجَّال، وبعد نزول عيسى عليه السلام عند جبل إيلياء (القدس) في وقت إقامة المسلمين لصلاة الفجر بإذن الله تعالى.

الوقفةُ الحاديةَ والعِشرُون

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾

لقد انتهت قوة اليهود في الأرض، ولم تعُد لهم أيٌّ فرصة بعد فنائهم في المعركة الحاسمة التي كانوا فيها جنوداً للباطل بقيادة الدجَّال، ولم يعُدْ لهم وجودٌ في فلسطين، فقد انتهت كلٌّ الفرص، فلا ردّ للكَرّة لهم من جديد، ولا رحمة لهم، ولا عودة.

لقد أفسدوا في الأرض مرَّتين، وملؤوا الدنيا فساداً واستكباراً وكفراً، وعتَوْا عُتوًّا كبيراً، وبلغوا من العلوِّ والظلم ما لم يبلغْه أحدٌ غيرُهم.

لم يتوبوا، ولم يرجعوا عن غِيِّهم رغم تحذير الله تعالى لهم، وإنذاره إياهم، فاستحقُّوا هذا الذلَّ، وهذا القتل، وهذه النهاية.

لقد أَبغَضَتْهم الأرض المباركة التي أفسدوا فيها، وأَبغَضَهم كلٌّ شيء، حتّى الشجر والحجر ينطقان بظلم اليهود وكفرهم، ويُعلنان أنهما في صفِّ المؤمنين الموحِّدين الثائرين، وأنَّهما يشاركان في المعركة الحاسمة لإبادة اليهود، وتخليص الكون من شرورهم.

إنَّ هذا كلَّه في الدنيا، وما ينتظرهم في الآخرة أشـــدُّ وأخـــزى ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ {الإسراء:٨} مع ما فـــي لفظـــة (حصيراً) من الإيحاءات بالتضييق، والحبْس، والمنع، والحشر، فهم ليسوا في نار جهنم فحسب، بل في سجن جهنم وظلامها، كمـــا فـــي قولــــه الله ســـــبحانه: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ {الفرقان: ١٣ }.

وفي آية الإسراء هذه إشارة إلى نهاية كلِّ شرٍّ من اليهود فـــي الدنيا، فهم بعد الإفساد الأول والثاني، وبعد عودتهم مـــع الـــدجَّال لا بقاء لهم، فجاء التعقيـــب بهـــذه النهايـــة: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ {الإسراء: ٨}، وليس أمامهم إلا عذاب جهنّم إيذانا بقـــرب قيام الساعة.

الوقفة الثانية والعشرون

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

إنَّ البُشرى من الله تعالى تجعلنا نرى الطريق أمامنا واضحًا ومكشوفًا، وإنَّ الأمل يحدونا للقول بأنَّ النصر قريب، وأنَّ زوال (إسرائيل) بات أقربَ من أيِّ وقت مضى، ولسنا نتحدث بلغة إنشائية عاطفية، بل إنَّ كثيراً من المؤشرات تدفعنا لهذا الأمل واليقين.

ومن أهمِّ المؤشرات على قرب زوال (إسرائيل):

أولاً: بلوغ اليهود علُوًّا كبيراً ﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ {الإسراء:٤}، فهم اليوم يبلُغون من العلوِّ الكبير ما يجعلهم يتحكمون في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية – أقوى قوة مادية في العالم–، ويحصلون على شرعية وجودهم في فلسطين من خلال اعتراف عددٍ من الدول العربية والإسلامية بهم، وبدولتهم على الأرض الإسلامية العربية (فلسطين)، وها هو العَلَمُ الإسرائيلي يرفرف في عواصم عربية وإسلامية مختلفة، ولذلك فإنَّ هذا العلوَّ الإسرائيلي مؤشرٌ على أنَّ إفسادهم في الأرض قد تمّ، بل قارب الزوال.

ثانيًا: تحقُّق مرحلة إساءة وجوه اليهود، ومعلومٌ أنَّ هذه المرحلة تسبق مرحلتي دخول المسجد والتَّتْبير كما في الآية الكريمة: ﴿لِيَسُـٔۥوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ {الإسراء:٧}، وقد رأينا ولا زلنا نرى كلَّ يوم كيف يُفتَضَح أمرهم، وتنكشف سوءاتهم، وتسوء وجوههم، وهذا من المبشرات بقرب زوالهم بإذن الله تعالى.

ثالثًا: هجرة اليهود العكسية إلى خارج فلسطين، والتي تتزايد يومًا بعد يوم، تشير إلى أنَّ اليهود لا يشعرون بالأمن في فلسطين، برغم ما يملكون من الأسلحة المتطورة، والعُدَّة، والعتاد، والأموال، والأولاد مما يجعل أعدادًا كبيرة منهم يهاجرون خارج فلسطين.

يقول الأستاذ/ صالح النعامي في مقال نشره بعنوان (هجرة اليهود العكسية ودلالاتها): (فقد دلّت دراسة إسرائيلية حديثة على أنَّ مليون (إسرائيلي) قد غادروا (إسرائيل) بالفعل خلال العقدين الماضيين)[١].

(١) النعامي، صالح، (هجرة اليهود العكسية ودلالاتها)، موقع فلسطين اليوم، ٢٠١١/٧/١٩م..

ويضيف النعامي: (لا تتوقف مظاهر الهجـرة العكسـية عنـد المليون صهيوني الذين غادروا بالفعل (إسرائيل)، بل إنَّ الأمر بات يتصل بحقيقة أنَّ الأغلبية الساحقة من الإسرائيليين يُعِدّون العُدّة، للحصول على جواز سفر أجنبي، وحسب إحدى الدراسات المسحية فقد تبين أنَّ ٦٠%من الإسرائيليين قد اتّصلوا بسفارة أجنبية، ليطلبوا الجنسية، أو جواز سفر). [١]

ونشرت الجزيرة بتاريخ ٢٠١٦/١/١٢م مقالاً لوديع عواودة من حيفا حول دراسة تقدم بها الباحث (جورج كرزم)، وصـدرت عـن مركز مدى الكرمل للدراسات التطبيقية في حيفا، جاء فيه: (وأشارت الدراسة إلى أنَّ توقعات الدائرة الإحصائية الإسرائيلية تشير إلى أنَّه من سنة ٢٠٢٠م سيفوق عدد العرب في فلسطين التاريخيـة عـدد اليهود، حيثُ ستبلغ نسبة اليهود ٤٢%، وأنَّ نحو مليون (إسرائيلي) يحملون جوازات سفر أجنبية، وذلك وفق معطيات دائرة الإحصـاء المركزية في (إسرائيل) للعام ٢٠١٥م). [٢]

---

(١) النعامي، صالح، (هجرة اليهود العكسية ودلالاتهـا)، موقـع فلسـطين اليـوم، ٢٠١١/٧/١٩م.

(٢) عواودة، وديع، (مقال) مركز مدى الكرمل للدراسـات التطبيقيـة فـي حيفـا، ٢٠١٦/٠١/١٢م.

إنَّ هذه الدراسات وغيرَها تؤكِّد أنَّ المشــروع اليهــوديَّ فــي فلسطين بدأ ينكمش ويتقلَّص، وأنَّه إلى زوال قريب بإذن الله تعالى.

رابعًا: صدور دراسات عربية إسلامية لمفكرين مسلمين توصَّلوا من خلالها إلى قرب زوال (إسرائيل)، وأنَّ العدَّ التنازليَّ لــزوال الإفساد الإسرائيلي في فلسطين يقترب من نهايته.

ومن أشهر هذه الدراسات العلمية: دراسة للمفكــر الفلســطيني الأستاذ/ بسَّام جرَّار بعنوان: (زوال إسرائيل ٢٠٢٢. نبوءة أم صدف رقمية)، والتي اعتمد فيها على استقراء القــرآن الكــريم، وخاصَّــة الإعجاز العددي فيه. [١]

وسار على نهجه أيضًا الباحث السوري/ م. عدنان الرفاعي في دراسته: (نهاية إسرائيل في القرآن الكريم)، والتي توصَّل فيها إلــى نتائج مشابهة تقريبًا. [٢]

ولا شكَّ أنَّ هذه الدراسات، وغيرها، تزيد من يقين المــؤمنين بحتمية الانتصار الوشيك على هذا الإفساد الإسرائيلي فــي الأرض

---

(١) جرار، بسام، (زوال إسرائيل ٢٠٢٢م، نبوءة أم صدف رقمية)، ط ٣، ٢٠٠٢م.

(٢) الرفاعي، عدنان، (نهاية إسرائيل في القرآن الكريم)، موقع: دنيا الوطن، ٢٠٠٧/٣/٧م.

والعلوِّ الكبير، وترفع من منسوب الأمل في نفوس المسلمين القابضين على الجمر في فلسطين، وفي غير فلسطين.

خامساً: تقرير المخابرات الأمريكية حول مستقبل الوجود الإسرائيلي في فلسطين يرجّح عدم قدرة (إسـرائيل) علـى الاسـتمرار طويلاً، لأسباب ديموغرافية، ودينية، وغيرها.

وقد عرضْتُ هذا التقرير هنا كما هو، لنعرف كيـف يفكـر الآخرون، وما هي رؤاهم فيما يخصُّ مستقبل اليهود في فلسـطين، وحتمية زوال دولة (إسرائيل) قريباً بإذن الله تعالى:

تقرير هام للغاية: المخابرات الأمريكية: "بعد ١٠ سنوات لن يكون هناك "إسرائيل"

الناصرة - المركز الفلسطيني للإعلام، تاريخ النشر ٢٢/٧/٢٠١٤م

(توقع تقرير جديد للمخابرات الأمريكية تلاشي دولة الكيـان الاسرائيلي في عام ٢٠٢٥م، وأوضح أنَّ اليهود ينزحون إلى بلادهم التي أَتَوْا منها إلى فلسطين، منذ الفترة الماضية بنسبة كبيـرة، وأنَّ هناك نصف مليون إفريقيّ في الكيان الإسـرائيلي سـيعودون إلـى بلادهم خلال السنوات العشر القادمة، إضافة إلـى مليـون روسـيّ وأعداد كبيرة من الأوروبيين.

وأشار التقرير الذي أعدَّته (١٦) مؤسسة استخبارية أمريكية، وهو تقرير مشترك تحت عنوان **(الإعداد لشرق أوسط في مرحلة ما بعد إسرائيل)** إلى أنَّ انتهاء دولة الكيان الإسرائيلي في الشرق الأوسط أصبح حتماً قريباً، وأشار التقرير إلى أنَّ صعود التيار الإسلاميّ في دول جوار دولة الكيان، وخاصّة مصر، قد أشعر اليهود بالخوف والقلق على حياتهم، وجعلهم يخشون على مستقبلهم ومستقبل أولادهم؛ لذا فقد بدأت عمليات نزوحٍ إلى بلادهم الأصلية.

وأوضح التقرير أنَّ هناك انخفاضاً في معدلات المواليد الصهيونية مقابل زيادة السكان الفلسطينيين، وأنّه يوجد (٥٠٠ ألف صهيوني) يحملون جوازات سفر أمريكية، ومن لا يحملون جوازات أمريكية أو أوروبية في طريقهم إلى استخراجها، كما صرح بذلك القانوني الدولي (فرانكين لامب) في مقابلة مع تلفزيون (برس PRESS)، والبديل سيكون دولة متعددة العرقيات والديانات، وستُطْفَأُ فكرة الدولة القائمة على أساس النقاء اليهودي، التي لم يستطع قادة الكيان تحقيقها حتى الآن.

التقرير السرِّي الذي اختُرق، وجرى الاطلاع على فحــواه، أعربت فيه المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) فيه عن شــكوكها في بقاء دولة الكيان الإسرائيلي بعد عشرين عاماً.

إنَّ الدراسة قد تنبَّأت بعودة اللاجئين أيضاً إلــى الأراضــي المحتلة؛ ما سيُفضي بدوره إلى رحيل ما يقارب مليوني صــهيوني عن المنطقة إلى الولايات المتحدة خلال السنوات الخمــس عشــرة القادمة، كما تنبَّأت الدراسة بعودة ما يزيــد عــن مليــون ونصــف صهيوني إلى روسيا، وبعض دول أوروبا؛ هذا بجانب انحدار نســبة الإنجاب والمواليد لدى الصهاينة مقارنة بارتفاعها لدى الفلسطينيين؛ ما يفضي إلى تفوق أعداد الفلسطينيين على الصهاينة مــع مــرور الزمن.

وأشار (لامب) إلى أنَّ تعامل الصــهاينة مــع الفلســطينيين، وبالذات في قطاع غزة، سوف يفضي إلى تحول في الــرأي العــام الأمريكي عن دعم الصهاينة خلافاً للســنوات الخمــس والعشــرين الماضية.

وقد أُعلم بعض أعضاء الكونجرس بهذا التقرير، وفى أحدث تصريحاته المثيرة للجدل، قال (هنري كيسنجر) وزيــر الخارجيــة

الأمريكية سابقًا، وأحد أبرز مهندسي السياسة الخارجيـــة الأمريكيـــة ومُنَظرِّيها، والمعروف بتأييده الواســـع، وبدعمـــه المطلـــق للكيـــان الإسرائيلي: (إنّه بعد عشر سنوات لن تكون هنـــاك دولـــة الكيـــان الإسرائيلي؛ أيْ في عام ٢٠٢٢م دولة (إسرائيل) لن تكون موجودة).

وقد حاولتْ مساعدة كيسنجر(تارابتزبو) نَفْيَ هذه التصريحات بعدما أثارت استياءً ورعبًا صهيونيًّا، إلَّا أنَّ (سندي آدمز) المحـــرِّرة في صحيفة (نيويورك بوست) أكَّدت أنَّ مقالها الذي نشرت فيه هـــذه التصريحات كان دقيقًا، موضِّحةً أنَّ (كيسنجر) قال لها هذه الجملـــة نصًّا.

وسبق لرئيس جهاز الموساد سابقًا (مائير داغان) في مقابلـــة مع صحيفة (جيروزلم بوست) في أبريل الماضي عـــام ٢٠١٢م أنْ قال: " نحن على شفا هاوية، ولا أريد أنْ أبالغ وأقول كارثة، لكنَّنـــا نواجه تكهُّناتٍ سيئةً لما سيحدث في المستقبل".

إنَّ هذه المُبشِّراتِ وغيرَها من الشواهد والقرائن تجعلنا أكثـــر تمسُّكًا بأرضنا المباركة، وتدفعنا دفعًا لاحتضان المقاومة، ودعمهـــا، ومساندتها بكل ما نملك، فهذا الإفساد اليهودي لنْ ينتهي إلا بالقتـــال

العنيف، ولنْ تسقط راياتهم بغير المقاومة والجهاد، ولنْ يخرجوا من فلسطين بالمفاوضات أو الاتفاقيات.

إنَّا على ثقة بعودة فلسطين مقدسة للمسلمين، ومباركة للعالمين، قريبًا بإذن الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ {الإسراء: ٥١}.

الخاتمة

بعد هذه التأمُّلات لآيات من سورة الإسراء، فإنَّني أرجــو أنْ أكون قد وقفْتُ على بعض الإشارات والدلالات التي تفيدنا وتلزمنــا في صراعنا المستمر مع اليهود الذين يحتلون فلسطين منــذ بضــع وسبعين سنة، وتضيء للمجاهدين الطريق، فيمضون فــي جهــادهم واثقين من معية الله تعالى، متيقنين من النصر المبــين، والتحريــر القريب بإذن الله.

ويُمكنني أنْ أُجْمِل في هذه الخاتمة أهمَّ ما توصَّلت إليه في دراستي من خلال هذه التأمُّلات:

أولاً: إنَّ أرض فلسطين هي الأرض المباركة، وهي قلــب الشــام، والمسجد الأقصى هو محور هذه البركة.

ثانياً: بيت المقدس (القدس) هي عاصمة دولة الخلافة القادمة، بــإذن الله تعالى.

ثالثًا: الإفساد الأول لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) انتهى على أيدي البابليين بقيادة ملك بابل (نبوخذ نصَّر) سنة ٥٨٦ ق. م، والذين ترجع أصولهم إلى قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب إلى منطقة بابل بالعراق.

رابعًا: الإفساد الثاني لبني إسرائيل في الأرض المباركة (فلسطين) هو هذا الذي نراه الآن من إقامة دولة (إسرائيل) على أرض فلسطين منذ العام ١٩٤٨م.

خامسًا: يستمر أهل فلسطين في ظهورهم على الحقِّ، وقهرهم للأعداء، وبقاء خذلان العرب والمسلمين لهم حتى يأتيهم أمر الله.

سادسًا: يكون تحرير فلسطين المباركة على أيدي أبنائها من أهل بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، مع احتمالية مساندة أهل دمشق وما حولها لأهل فلسطين عن بُعد، من خلال الاشتباك مع اليهود وإشغالهم، بإذن الله تعالى.

سابعًا: تحرير فلسطين وإقامة دولة الخلافة في بيت المقدس، ليس من أشراط الساعة الكبرى المعروفة، ولكنه دليل على دُنُوِّ أشراط الساعة والأمور العظام.

ثامنًا: تحرير فلسطين، وزوال (إسرائيل)، وإقامة دولة الخلافة في القدس، يكون قبل ظهور المَهْدي عليه السلام، وقبل خروج الدجَّال، وقبل نزول عيسى بن مريم عليه السلام، بإذن الله تعالى.

تاسعًا: يعود اليهود إلى فلسطين مع الدجَّال في محاولة للإفساد من جديد، وعندها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقتل الدجَّال عند

باب لُدّ الشرقي بفلسطين، وينطق الحجر والشجر، وينطق كلُّ شيء وقوفًا مع المقاتلين المسلمين الذين يقاتلون اليهود، ولن يبقى يهود معتدون في فلسطين بإذن الله تعالى.

عاشرًا: إنَّ زوال (إسرائيل) بات قريبًا جدًّا، وهو ما تدلُّ عليه العديد من الدراسات العلمية، والبحوث المتخصِّصة التي تُؤكد بأنَّ (إسرائيل) ستزول خلال السنوات القليلة القادمة بإذن الله تعالى.

المحتويات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين